

التفسير المحرر 21-10121-1.0

ولا تُجادِلوا -أيُّها المُسلِمون- اليَهُودَ والنَّصارى إِلَّا بأَحْسَنِ طَريقَةٍ، وذلك بالرفق، والقول الحسن، وبأقوى الحجج، إِلَّا المُعاندين للحق منهم، المُعتدين الذين لم يَقبلوا النصح، ولم يَنفَع فيهم الرفق، وقولوا لهم: آمَنَّا بالقرآن، وبالتَّوراة والإنجيل، ممَّا لم يُحَرَّف ويُبَدَّل، ومعبودنا ومعبودكم واحدٌ، وهو اللهُ سُبْحانَه، ونحن له مُنقادون.

وكذلك أنزلنا إِلَيْكَ القرآن -يا محمد-، فالذين أُوتوا التَّوراة والإنجيل يُؤْمِنونَ به -قيل هم: مَنْ كانوا قبل البعثة على علم بشأن محمد صلى الله عليه وسلم، وقيل المراد: من أسلم منهم بعد البعثة كعبدالله بن سلام-، ومن أهل مكة مَنْ يؤمِنُ بالقرآن، وما يَجحدُ بأدلة الحق مع ظهورها إِلَّا الكافرون، فينكرون الحقَّ بعدَ مَعْرِفَتِهِ.

وما كنت -يا مُحَمَّد- تقرأُ كتابًا مِنْ قَبْلِ القرآن، وما كنت تُحسِنُ الكتابةَ، ولو كنتَ كذلك قَبْلَ نَبُوتِكَ، لَشَكَّ في صِدْقِكَ الكافرون.

إنما القرآنُ آياتٌ واضِحَاتُ الدَّلالة على الحقِّ، وهو محفوظٌ في صدرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمُؤْمِنِينَ، وما يَجحدُ بآياتِنَا، إِلَّا من ظلم نفسه بالكفر والكِبَر.

وقال مُشركو قُرَيْشٍ: لولا أنزلَ على مُحَمَّدٍ مُعْجَراتٌ مِنْ رَبِّهِ -كمُعْجَراتِ موسى-؛ فَنُصَدِّقْهُ؟ فقولُ لهم: لا يَأْتِي بالمُعْجَراتِ إِلَّا اللهُ، وليس مِنْ شَأْنِي إِلَّا إنذارُكم.

أولم يَكْفِ هؤلاء المُقْتَرِحِينَ نُزُولَ الآياتِ عَلَيْكَ -يا مُحَمَّد- أنا أنزلنا عليك القرآنَ الَّذي تتتابعُ قراءتُه عليهم؟! إِنَّ في ذلك

الْقُرْآنَ لِرَحْمَةٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَذَكَرَى لَهُمْ؛
يَتَذَكَّرُونَ بِهِ الْحَقَّ.

قُلْ -يَا مُحَمَّدُ- لِلْمُشْرِكِينَ: حَسْبِيَ اللَّهُ شَاهِدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، وَهُوَ
يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ الْمَحْقُوقُ مِنَّا مِنْ
الْمُبْطَلِ، وَسُجَازِي كُلِّ مَا يَسْتَحِقُّ، وَالَّذِينَ آمَنُوا بِمَا يُعْبَدُ مِنْ
دُونِ اللَّهِ، وَكَفَرُوا بِاللَّهِ: أُولَئِكَ مَتَّصِفُونَ بِالْخَسَارَةِ فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ.

وَيَطْلُبُ مِنْكَ مُشْرِكُو قَوْمِكَ -يَا مُحَمَّدُ- أَنْ تُعَجِّلَ وَقُوعَ عَذَابِ
اللَّهِ عَلَيْهِمْ، وَلَوْلَا تَقْدِيرُ اللَّهِ لِلْعَذَابِ أَنْ يَنْزَلَ عَلَيْهِمْ فِي وَقْتٍ
مَحْدَدٍ، لَجَاءَهُمْ فِي وَقْتٍ اسْتَعْجَلَهُمْ إِيَّاهُ، وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ فَجَاءَةٌ دُونَ أَنْ
يَشْعُرُوا بِوَقْتِ مَجِيئِهِ.

وَيَسْتَعْجِلُكَ كُفَّارُ قَوْمِكَ -يَا مُحَمَّدُ- بِوُقُوعِ عَذَابِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ
فِي الدُّنْيَا، وَهُوَ آتِيهِمْ فِي الْآخِرَةِ؛ حَيْثُ تَكُونُ جَهَنَّمُ مُحِيطَةً بِهِمْ
وَبِكُلِّ كَافِرٍ.

إِنَّ جَهَنَّمَ مُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ يَوْمَ يَغْشَاهُمْ عَذَابُهَا مِنْ فَوْقِهِمْ،
وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ، وَيَقُولُ اللَّهُ لَهُمْ: ذُوقُوا جزاء ما عملتموه في
الدُّنْيَا.

يَا عِبَادِيَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنْ لَمْ تَتَمَكَّنُوا مِنْ عِبَادَتِي فِي بَلَدٍ،
فَهَاجِرُوا إِلَى مَوْضِعٍ تَتَمَكَّنُونَ فِيهِ مِنْ ذَلِكَ، فَأَخْلَصُوا الْعِبَادَةَ
لِي، وَأَظْهَرُوا طَاعَتِي حَيْثُمَا يُمَكِّنُكُمْ مِنَ الْأَرْضِ.
كُلُّ نَفْسٍ مَخْلُوقَةٍ سَتَجِدُ مَرَارَةَ الْمَوْتِ لَا مَحَالَةَ، وَلَا بَدَّ مِنْ
نَزْوِلِهِ بِكُلِّ النَّاسِ، ثُمَّ يَرْتَدُّونَ إِلَى اللَّهِ، فَيُجَازِيهِمْ.

وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْحَقِّ، وَعَمِلُوا الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ؛ لَنُكَفِّرَنَّهُمْ
فِي الْجَنَّةِ مَنَازِلَ عَالِيَةً، تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ، يَقِيمُونَ فِيهَا
أَبَدًا، وَنِعْمَ الْجَزَاءُ هِيَ لِلْعَامِلِينَ فِي الدُّنْيَا بِطَاعَةِ اللَّهِ.
وَهُم الَّذِينَ صَبَرُوا عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ، وَأَذَى الْمُشْرِكِينَ،
وَمُفَارَقَةِ أَوْطَانِهِمْ؛ فِرَارًا مِنَ الْفِتَنِ، وَعَلَى رَبِّهِمْ وَحْدَهُ يَعْتَمِدُونَ
فِي جَمِيعِ أُمُورِهِمْ.

هَاجِرُوا وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ -أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ- وَلَا تَخَافُوا الْفَقْرَ
وَقَلَّةَ ذَاتِ الْيَدِ؛ فَكَثِيرٌ مِنَ الدَّوَابِّ بِحَاجَةٍ إِلَى طَعَامٍ وَشَرَابٍ، وَلَا
تُطِيقُ جَمْعَهُ، وَلَا تَوْجُرُ شَيْئًا مِنْهُ لَعْدٍ، فَيَقْنِضُ لَهَا اللَّهُ رِزْقَهَا؛
فَكَذَلِكَ يُبَيِّسُ اللَّهُ أَرْزَاقَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ، وَاللَّهُ سَمِيعٌ لَخَلْقِهِ، عَلِيمٌ بِهِمْ،
لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ.

وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ -يَا مُحَمَّدُ-: مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَذَلَّلَ
لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ يَجْرِيَانِ لِمَنَافِعِكُمْ؟ لَيَقُولَنَّ: اللَّهُ وَحْدَهُ، فَكَيْفَ
يُصْرَفُونَ عَنْهُ إِذَنْ، فَيَعْدِلُونَ عَنِ التَّوَكُّلِ عَلَيْهِ، أَوْ يَتْرُكُونَ
إِخْلَاصَ الْعِبَادَةِ لَهُ؟

اللَّهُ وَحْدَهُ الَّذِي يُوسِّعُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وَيُضَيِّقُهُ
عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْهُمْ وَفَقًّا لِمَا فِيهِ مَصْلَحَةٌ لَهُمْ، بِحَسَبِ مَا تَقْتَضِيهِ
حِكْمَتُهُ سُبْحَانَهُ؛ فَلَا يَصُدِّقُكُمْ -أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ- عَنِ الْهَجَرَةِ
وَجِهَادِ عَدُوِّكُمْ خَوْفٌ مِنَ الْاِفْتِقَارِ.

وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ -يَا مُحَمَّدُ-: مَنْ الَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّحَابِ مَطَرًا،
فَأَحْيَا الْأَرْضَ بِالنَّبَاتِ بَعْدَ جُدُوبِهَا؟ لَيَقُولَنَّ: اللَّهُ وَحْدَهُ، فَقُلْ:
الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى بَيَانِ الْحَقِّ، وَتَبْسِيرِ النِّعَمِ، لَكِنَّ أَكْثَرَ الْمُشْرِكِينَ
بِاللَّهِ لَا يَعْقِلُونَ، فَلَا يَتَّبِعُونَ الْحَقَّ.

وما هذه الدنيا إِلَّا شَيْءٌ يُتْلَىٰ بِهِ وَيُلْعَبُ، لَا حَقِيقَةً لَهَا وَلَا ثَبَاتٌ، وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْحَيَاةِ الْحَقِيقَةِ الدَّائِمَةِ، فَلَوْ عَلِمَ الْمُشْرِكُونَ ذَلِكَ لَآمَنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ، وَلَمْ يُؤْثِرُوا الْفَانِيَةَ عَلَى الْبَاقِيَةِ.

فَإِذَا رَكِبَ الْمُشْرِكُونَ فِي السَّفِينَةِ، وَخَافُوا الْغَرَقَ، أَخْلَصُوا لِلَّهِ الدُّعَاءَ، وَالطَّاعَةَ؛ لِيُخَلِّصَهُمْ مِنَ الشَّدَةِ، وَتَرَكَوا آلِهَتَهُمْ وَقَدْ عَلِمُوا أَنَّهَا لَا تَنْفَعُهُمْ، فَلَمَّا نَجَّاهُم اللَّهُ، وَأَوْصَلَهُمْ إِلَى الْبَرِّ آمِنِينَ؛ انْقَلَبُوا بِاللَّهِ مُشْرِكِينَ.

يُشْرِكُ أَوْلَئِكَ الْكُفَّارُ بَعْدَ إِنْجَائِهِمْ مِنَ الشَّدَةِ؛ فَيَجْحَدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ، وَيَتَمَتَّعُوا بِدُنْيَاهُمْ الْفَانِيَةِ بَقِيَّةَ عَمَرِهِمْ، وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ عَاقِبَةَ ذَلِكَ.

أَوَلَمْ يَرَ مُشْرِكُو قُرَيْشٍ أَنَّا جَعَلْنَا مَكَّةَ حَرَمًا مَصُونًا، سَالِمًا أَهْلَهُ، وَالْحَالُ أَنَّ الْعَرَبَ حَوْلَهُمْ بَعِثَ ذَلِكَ؟ أَفَبِالشِّرْكِ يُؤْمِنُونَ، وَبِالنِّعْمَةِ يَجْحَدُونَ، فَيَجْعَلُونَ بَدَلَ شُكْرِهِمْ لَهُ شِرْكَهُمْ بَعِيرَهُ؟ وَلَا أَحَدٌ أَظْلَمُ مِمَّنْ اخْتَلَقَ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا، فَادَّعَى مَا لَمْ يَقُلْهُ وَمَا لَا يَرْضَاهُ؛ كَمَنْ زَعَمَ أَنَّ لَهُ شَرِيكًا، أَوْ كَذَّبَ بِمُحَمَّدٍ وَبِالْقُرْآنِ حِينَ جَاءَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يُمَهِّلَ نَفْسَهُ لِلنَّظَرِ، أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَقَامٌ دَائِمٌ لِلْكَافِرِينَ؟!

وَالَّذِينَ يَذَلُّوا جُهْدَهُم لِلْعَمَلِ بِمَا يُرْضِي اللَّهَ، وَتَرَكَ مَا يُسْخِطُهُ لَنَذَلَّتْهُمْ وَتَوَقَّفَتْهُمْ إِلَى الطَّرْقِ الْمُوصِلَةِ إِلَيْنَا وَإِلَى رِضْوَانِنَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ بِالْحِفْظِ وَالنَّصْرِ، وَالْإِعَانَةِ وَالْهَدَايَةِ.

هذه الحروف المقطعة التي افتتحت بها هذه السورة وغيرها، تأتي لبيان إعجاز القرآن؛ حيث تَظْهَرُ عَجَزُ الْخَلْقِ

عن مُعَارَضَتِهِ بِمِثْلِهِ، مع أَنَّهُ مَرَكَّبٌ مِنْ هَذِهِ الْحُرُوفِ الْعَرَبِيَّةِ
الَّتِي يَتَحَدَّثُونَ بِهَا

غَلَبَ أَهْلُ فَارِسَ الْمُشْرِكُونَ، الرُّومَ أَهْلَ الْكِتَابِ، وَقَهَرُوهُمْ
انْتَصَرَ أَهْلُ فَارِسَ عَلَى الرُّومِ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ، وَالرُّومُ مِنْ
بَعْدِ أَنْ غَلَبَهُمْ أَهْلُ فَارِسَ سَيَغْلِبُونَهُمْ

سَيَقُوعُ انْتِصَارُ الرُّومِ عَلَى الْفُرسِ فِيمَا بَيْنَ ثَلَاثِ سِنِينَ إِلَى
تِسْعٍ، لِلَّهِ وَحْدَهُ الْحُكْمُ وَالتَّدْبِيرُ وَالتَّقْدِيرُ وَالتَّصَرُّفُ فِي خَلْقِهِ بِمَا
يَشَاءُ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَغْلِبَ الرُّومُ فَارِسَ، وَمِنْ بَعْدِ غَلَبَتِهِمْ لَهُمْ؛ فَعَلْبُهُ
أَحَدُهُمَا الْآخَرَ وَاقِعَةٌ بِأَمْرِ اللَّهِ وَقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ، وَيَوْمَ يَنْتَصِرُ
الرُّومُ عَلَى الْفُرسِ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ

يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ لِلرُّومِ أَهْلِ الْكِتَابِ عَلَى الْفُرسِ
الْمُشْرِكِينَ، يَنْصُرُ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وَفَقَّ مَا تَقْتَضِيهِ
حِكْمَتُهُ سُبْحَانَهُ، كَمَا نَصَرَ فَارِسَ عَلَى الرُّومِ، ثُمَّ الرُّومَ عَلَى
فَارِسَ، ثُمَّ نَصَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى فَارِسَ وَالرُّومَ الْكَافِرِينَ، وَاللَّهُ
هُوَ الْغَالِبُ الْقَاهِرُ الْقَوِيُّ الْمُنتَقِمُ مِنْ أَعْدَائِهِ بِمَا مَنَعَ يَمْنَعُهُ مِنْ
ذَلِكَ، وَهُوَ الرَّحِيمُ بِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ

وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ بِانْتِصَارِ الرُّومِ عَلَى الْفُرسِ وَعَدًا لَا مَحَالَةَ
مِنْ وَقُوعِهِ، لَا يُخْلِفُ اللَّهُ مَا وَعَدَ بِهِ عِبَادَهُ، فَمَا أَخْبَرَ بِوُقُوعِهِ لَا
بَدَّ مِنْ تَحَقُّقِهِ؛ لِكَمَالِ قُدْرَتِهِ، وَكَمَالِ صِدْقِهِ سُبْحَانَهُ، وَلَكِنْ أَكْثَرَ
النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ مَا لِلَّهِ مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ؛ فَهُمْ يَجْهَلُونَ حِكْمَتَهُ
وَقُدْرَتَهُ، وَصِدْقَ خَبَرِهِ، وَيُكَذِّبُونَ بَيِّنَاتِهِ

أَكْثَرَ النَّاسِ يَعْلَمُونَ مَا يَتَعَلَّقُ بِشُؤْنِ دُنْيَاهُمْ فَحَسَبُ؛
كُعْمَرَانِهِمْ، وَتَدْبِيرِ مَعَاشِهِمْ، وَهُمْ عَنْ أَمْرِ آخِرَتِهِمْ غَافِلُونَ؛ فَلَا
يُفَكِّرُونَ فِي شَأْنِهَا، وَلَا يَعْمَلُونَ مِنْ أَجْلِهَا

أولم يتفكّر أولئك المكذّبون بالبعث في أنفسهم، فيعلموا أنّ الله وحده خالق السموات والأرض وما بينهما بالحق؛ ليعبّده الناس ويطيعوه، ثمّ هو يبعثهم لمجازاتهم؟! فما خلق الكون باطلاً وعبثاً بلا حكمة، ويعلموا أنّ للسموات والأرض وما بينهما وقتاً محدداً عند الله، تنتهي إليه، وتنفى فيه، وهو يوم القيامة الذي يبعث الله فيه العباد للحساب والجزاء؟ وإنّ كثيراً من الناس كافرون بوقوع البعث بعد الموت، جاحدون لحصول الجزاء يوم القيامة

أولم يسيروا في الأرض هؤلاء المكذّبون بالبعث؛ فينظروا كيف كان آخر أمر الذين من قبلهم، فيعتبروا ويتعظوا حين يرون آثار إهلاك الله لهم؛ بسبب كفرهم وشركهم، وتكذيبهم رسلهم؟! قد أعطى أولئك من القوة ما لم يعطوها هم، وقلّبوا الأرض لزعزعتها، وجعلوها أكثر عمراناً ممّا فعلوا هم، وجاءتهم رسلهم بالبينات الدالات على الحق، وعلى صدقهم، فكذبوهم، فلم يقدروا على الامتناع من عذاب الله، وما نفعهم قوتهم، ولا أغنت عنهم إثارتهم الأرض وعمارتهم لها! فلم يكن الله ليعذبهم بلا ذنب أتوه، ولا قبل إرسال الرسل إليهم، وإقامة الحجة عليهم، ولكن كانوا يظلمون أنفسهم؛ بالكفر بالله، والإشراك به، وتكذيب رسله، ومعصيته

ثمّ كان آخر أمر أهل السوء أن حلّ بهم عذاب الله؛ بسبب تكذيبهم بآيات الله سبحانه، واستهزائهم المستمر بها
الله وحده الذي يبدأ إنشاء جميع المخلوقات من العدم، ثمّ يعيدها فيحييها مرّة ثانية بعد فنائها، ثمّ تروثون يوم القيامة إلى الله وحده، فيجازيكم بأعمالكم

وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَبْيَسُ الْمُشْرِكُونَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَتَنْقَطِعُ حُجَّتُهُمْ
وَيَنْدَمُونَ

وَلَمْ يَكُنْ لِلْمُشْرِكِينَ مِنْ مَعْبُودَاتِهِمُ الْبَاطِلَةِ -الَّتِي جَعَلُوهَا
شُرَكَاءَ لِلَّهِ- شُفْعَاءُ يَشْفَعُونَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ، فَيَجْلِبُونَ لَهُمْ نَفْعًا،
أَوْ يَدْفَعُونَ عَنْهُمْ ضَرًّا، وَيَكْفُرُ أَوْلَئِكَ الْمُشْرِكُونَ بِمَنْ اتَّخَذُوهُمْ
شُرَكَاءَ لِلَّهِ تَعَالَى

وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَتَفَرَّقُ الْخَلْقُ بَيْنَ مُؤْمِنِينَ وَكَافِرِينَ
فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِمَا وَجَبَ عَلَيْهِمُ الْإِيمَانُ بِهِ، وَعَمِلُوا الْأَعْمَالَ
الصَّالِحَاتِ بِإِخْلَاصٍ لِلَّهِ تَعَالَى وَمُتَابَعَةٍ لِشَرْعِهِ؛ فَهُمْ فِي الْجَنَّةِ
فِي بَسَاتِينٍ مُشْتَمِلَةٍ عَلَى الْمِيَاهِ وَالْأَزْهَارِ، وَالْأَشْجَارِ وَالنَّبَاتَاتِ
الْبَهِيجَةِ، وَالرَّوَائِحِ الطَّيِّبَةِ وَالْمَنَاطِرِ الْجَمِيلَةِ: يُسْرُونَ فِيهَا
سُرُورًا شَدِيدًا، يَظْهَرُ أَثَرُهُ وَحُسْنُهُ عَلَيْهِمْ
وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بآيَاتِ اللَّهِ، وَأَنْكَرُوا الْبَعْثَ بَعْدَ
المَوْتِ لِلْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ: فَأُولَئِكَ يُؤْتَى بِهِمْ إِلَى النَّارِ، فَيَبْقُونَ
فِيهَا، لَا يَغِيبُ عَنْهُمْ عَذَابُهَا

تَنْزَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ كُلِّ عَيْبٍ وَنَقْصٍ، فَتَزْهَوُهَا -أَيُّهَا النَّاسُ-
حِينَ حُلُولِ الْمَسَاءِ، وَحِينَ حُلُولِ الصَّبَاحِ
وَهُوَ وَحْدَهُ الْمُسْتَحَقُّ وَصَفُهُ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ مَعَ مُحَبَّتِهِ
وَتَعْظِيمِهِ، فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَتَزْهَوُهَا اللَّهُ -أَيُّهَا النَّاسُ-
وَقَتَّ الْعَشِيِّ، وَتَزْهَوُهَا اللَّهُ وَقَتَّ الظُّهَيْرَةِ

يُخْرِجُ اللَّهُ بِقُدْرَتِهِ الْحَيِّ مِنَ الْمَيِّتِ؛ كَالْإِنْسَانِ مِنَ النُّطْفَةِ،
وَالنَّبَاتِ مِنَ الْحَبِّ، وَالدَّجَاجِ مِنَ الْبَيْضِ، وَالْمُؤْمِنِ مِنَ الْكَافِرِ،
وَيُخْرِجُ اللَّهُ بِقُدْرَتِهِ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ؛ كَالنُّطْفَةِ مِنَ الرَّجُلِ، وَالْحَبِّ
مِنَ النَّبَاتِ، وَالْبَيْضِ مِنَ الدَّجَاجِ، وَالْكَافِرِ مِنَ الْمُؤْمِنِ، وَيُنْزِلُ

الله الماء على الأرض اليابسة القاحلة، فتنبُث بعد جُوبها، وكما يُحيي الله الأرض بعد موتها، فيُخرج نباتها وِرْعها بقُدرته، يُحييكم -أيها الناس- بعد موتكم، ويُخرجكم أحياء من قبوركم يوم القيامة

ومن العلامات الدالة على صفات الله تعالى، كوحانيته وكمال قدرته: أنه ابتداءً خلَقكم من تُراب، فخلَق أباكم آدم منه، ثم تصيرون من هذا التُّراب الجامد بشرًا أحياء تنثشرون في الأرض، وتسعون فيها

ومن العلامات الدالة على صفات الله تعالى: أنه خلَق لكم من جنسكم أزواجًا؛ لِتَحْصُلَ المناسبةُ والألفةُ والاطمئنانُ بينكم، وجعلَ الله بينكم -أيها الأزواج- محبةً عظيمةً، ورحمةً يعطف بها بعضكم على بعض، إنَّ في ذلك المذكور لعلامات ودلالات على قُدرة الله، وحكمته ورحمته، وغيرها، لِقَوْمٍ يَعْمَلُونَ فِكْرَهُمْ في ذلك

ومن العلامات الدالة على توحيد الله، وكمال قدرته العظيمة، وغير ذلك: إيجاده السَّمَوَاتِ والأَرْضِ مِنَ الْعَدَمِ، وعلى تقديرِ ونظامٍ بديع، مع ما فيهما من المخلوقات العظيمة المتنوعة، ومن العلامات أيضًا: اختلافُ لُغاتكم وألوانِ أجسادكم، مع أنَّ أصلكم واحدٌ؛ مِنْ أَبِيكُمْ آدَمَ، إنَّ في ذلك المذكور: لعلاماتٍ وأدلةً لأولي العلم، ومن ذلك الاستدلالُ بها على وحدانية الله تعالى وقُدْرته على إعادة الخلق بعد موتهم

ومن العلامات أيضًا منامكم في اللَّيْلِ والنَّهار؛ لِراحةِ أبدانكم، وطلبكم رِزقَ الله فيهما، إنَّ في ذلك: لعلاماتٍ ودلالاتٍ

لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ سَمَاعَ تَدَبُّرٍ وَتَفْقَهُمْ، وَمِنْ ذَلِكَ الاسْتِدْلَالُ بِهِمَا عَلَى رَحْمَةِ اللَّهِ، وَتَوْحِيدِهِ، وَقُدْرَتِهِ عَلَى بَعَثِ الْخَلْقِ بَعْدَ مَوْتِهِمْ
وَمِنْ الْعَلَامَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى عَظَمَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَغَيْرِهَا: أَنْ يُبْدِيَ لَكُمْ الْبَرْقَ، فَتَخَافُوا وَتَطْمَعُوا، وَيُنْزِلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مَطَرًا، فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ الْيَابِسَةَ، فَتُخْرِجُ نَبَاتَهَا بَعْدَ جُدُوبِهَا، إِنَّ فِي إظهارِ اللَّهِ لَكُمْ الْبَرْقَ، وَإِنْزَالِهِ الْمَطَرَ، وَإِحْيَاءِ الْأَرْضِ بِهِ: لَعَلَّامَاتٍ يَسْتَدِلُّ بِهَا الْقَوْمُ الَّذِينَ يَعْقِلُونَ حُجَجَ اللَّهِ، وَمِنْ ذَلِكَ الاسْتِدْلَالُ بِهَا عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ عَلَى الْبَعْثِ

وَمِنْ الْعَلَامَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ وَغَيْرِهَا: قِيَامُ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ بِقُدْرَتِهِ وَتَدْبِيرِهِ؛ خُضُوعًا وَطَاعَةً لِأَمْرِهِ لَهَا، ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ اللَّهُ دَعْوَةً وَاحِدَةً وَأَنْتُمْ مَوْتَى فِي بَطْنِ الْأَرْضِ، إِذَا أَنْتُمْ سَرِيعًا تَخْرُجُونَ أَحْيَاءً مِنْ قُبُورِكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

وَاللَّهُ وَحْدَهُ مُلْكُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالْإِنْسِ وَالْجِنِّ وَجَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ؛ فَكُلُّهُمْ عَبِيدُهُ وَمَمَالِكُهُ، وَكُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ خَاضِعُونَ لِلَّهِ وَحْدَهُ؛ فَهُمْ لَهُ أَدِلَّةٌ مَقْهُورُونَ لِإِرَادَتِهِ الْكُونِيَّةِ، فَيَتَصَرَّفُ فِيهِمْ بِمَا يَشَاءُ

وَاللَّهُ هُوَ الَّذِي يَبْدَأُ إِنْشَاءَ الْخَلْقِ مِنَ الْعَدَمِ، ثُمَّ يُعِيدُهُمْ بَعْدَ مَوْتِهِمْ فَيُحْيِيهِمْ ثَانِيَةً، وَإِعَادَةُ الْخَلْقِ بَعْدَ مَوْتِهِمْ أَيْسَرُ عَلَى اللَّهِ مِنْ ابْتِدَاءِ خَلْقِهِمْ، وَاللَّهُ وَحْدَهُ هُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِلْوَصْفِ الْأَكْمَلِ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ؛ فَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، وَكُلُّ صِفَةٍ كَمَالٍ فِي الْمَخْلُوقَاتِ فَالْخَالِقُ أَحَقُّ بِالِاتِّصَافِ بِهَا عَلَى وَجْهِ لَا يُشَارِكُهُ فِيهَا أَحَدٌ، وَكُلُّ صِفَةٍ نَقْصٍ فِي الْمَخْلُوقِ فَتَنْزِيهِ الْخَالِقِ عَنْهَا أَوْلَى وَأَحْرَى، وَاللَّهُ ذُو الْعِزَّةِ الْكَامِلَةِ؛ فَهُوَ الْقَاهِرُ

لَخَلْقِهِ فَلَا يُغَالِبُ، الْمُنْتَقِمُ مِنْ أَعْدَائِهِ فَلَا يُمَانَعُ، وَهُوَ الْحَكِيمُ فِي أَعْمَالِهِ وَأَقْوَالِهِ؛ شَرَعًا وَقَدَرًا

مَثَلُ اللَّهِ لَكُمْ قُبْحُ الشِّرْكِ وَبُطْلَانُهُ مِنْ أَجْلِ إِفْهَامِكُمْ -أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ- بِمَثَلٍ تَعْرِفُونَهُ؛ لِكُونِهِ مَأْخُودًا مِنْ أَحْوَالِكُمْ، هَلْ مِنْ رَقِيقِكُمْ الَّذِينَ تَمْلِكُونَهُمْ -مَعَشَرَ الْمُشْرِكِينَ الْأَحْرَارِ- مَنْ يُشَارِكُكُمْ فِيمَا أُعْطِينَاكُمْ مِنَ الرِّزْقِ، فَتَكُونُوا أَنْتُمْ وَهُمْ فِيهِ مُتَسَاوِينَ، تَخَافُونَهُمْ مِنَ التَّصَرُّفِ فِيهِ كَمَا يَخَافُ الرَّجُلُ الْحُرُّ مِنْكُمْ شَرِيكَهُ الْحُرَّ أَنْ يَتَصَرَّفَ فِي مَالِهِمَا بِشَيْءٍ دُونَ رِضَاهِ أَوْ إِذْنِهِ، أَوْ بِمَا فِيهِ ضَرَرٌ عَلَيْهِ؟! هَذَا لَا يَكُونُ، فَكَمَا لَا يَرْضَى أَحَدٌ مِنْكُمْ أَنْ يَكُونَ عَبِيدُهُ شُرَكَاءَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، فَاللَّهُ لَا يَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَهُ شَرِيكٌ مِنْ عَبِيدِهِ فِي عِبَادَتِهِ، مِثْلُ ذَلِكَ التَّفْصِيلِ وَالتَّيْبِينَ نُفَصِّلُ آيَاتِ الْقُرْآنِ؛ لِيَتَبَيَّنَ الْحَقُّ لِقَوْمٍ ذَوِي عَقْلٍ وَفَهْمٍ

لَمْ يَعْقِلْ أُولَئِكَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِالشِّرْكِ آيَاتِ الْقُرْآنِ الْمُفَصَّلَةِ، فَيَتَّبِعُوهَا، وَإِنَّمَا اتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ؛ جَهْلًا مِنْهُمْ بِالْحَقِّ، وَدُونَ بَرَهَانٍ لَدِيهِمْ عَلَى صِحَّةِ شِرْكِهِمْ، فَلَا أَحَدٌ يَهْدِي لِاتِّبَاعِ الْحَقِّ مَنْ قَدَّرَ اللَّهُ إِضْلَالَهُ بِسَبَبِ ظُلْمِهِ، وَلَيْسَ لِلَّذِينَ أَضَلَّهُمُ اللَّهُ مِنْ نَاصِرِينَ يُنْقِذُونَهُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ

فَانصِبْ -يَا مُحَمَّدُ- قَلْبُكَ وَاجْعَلْ قَصْدَكَ كُلَّهُ إِلَى جِهَةِ الْإِسْلَامِ الَّذِي شَرَعَهُ اللَّهُ لَكَ، وَاسْتَمِرَّ عَلَيْهِ، وَاجْتَهِدْ فِي طَلْبِهِ وَاتِّبَاعِهِ، مُقْبِلًا عَلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَخَذَهُ، مَائِلًا عَنِ الشِّرْكِ وَعَنْ جَمِيعِ الْأَدْيَانِ الْبَاطِلَةِ، وَاتَّبِعْ دِينَ اللَّهِ: الْإِسْلَامَ الَّذِي خَلَقَ جَمِيعَ النَّاسِ مُهَيَّيْنِ لِمَعْرِفَتِهِ وَقَبُولِهِ، وَالْإِقْرَارِ بِعَقَائِدِهِ، وَالْإِنْقِيَادِ لِأَحْكَامِهِ، وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَيْمَهُ مُنَاسِبَةً لِخَلْقَتِهِمْ، لَا يُخْلَقُ الْخَلْقُ عَلَى غَيْرِ الْفِطْرَةِ، وَلَا يُؤَلَّدُ أَحَدٌ إِلَّا عَلَى ذَلِكَ، إِقَامَةُ الْوَجْهِ لِلْإِسْلَامِ الَّذِي شَرَعَهُ اللَّهُ

بلا تَغْيِيرٍ، وطاعةُ اللهِ بلا شِرْكِ: هو الدِّينُ الكاملُ الَّذي لا عِوَجَ فيه ولا نَقْصَ؛ فهو الطَّرِيقُ المُسْتَقِيمُ السَّالِمُ مِنَ الانْحِرَافَاتِ، الموصِلُ إلى اللهِ ورضوانه وجَنَّتِه، ولكنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ الدِّينَ الْحَقَّ، فهم يُشْرِكُونَ بِاللَّهِ، وَيَتَّبِعُونَ غَيْرَ ما شَرَعَهُ اللهُ راجِعِينَ إلى اللهِ وَحْدَهُ؛ مِنَ الشِّرْكِ إلى التَّوْحِيدِ، وَمِنَ المَعْصِيَةِ إلى الطَّاعَةِ، وَمِنَ البِدْعِ والضَّلالاتِ إلى التَّمَسُّكِ بالشرعِ، واجعلوا بَيْنَكُمْ وبينَ سَخَطِ اللهِ وعَذابِهِ حَاجِزًا؛ بِامْتِثالِ أوامِرِهِ، واجْتِنابِ نواهِيهِ، وأدْوا الصَّلواتِ على وَجْهِها التَّامِّ، ولا تَكُونُوا مِمَّنْ يَدْخُلُ في عِدادِ المُشْرِكِينَ بأنْ تَعْمَلُوا بِمِثْلِ ما يَعْمَلُونَ

لا تَكُونُوا مِنَ المُشْرِكِينَ الَّذِينَ بَدَّلُوا دِينَ اللهِ، فلم يَلْتَزِمُوا بِهِ مِثْلَ ما أَمَرَهم رَبُّهُمْ، وكانوا فِرْقًا وأَحْزَابًا، كُلُّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ تَأَلَّفَتْ وَتَحالَفَتْ وَتَعَصَّيَتْ على نَصْرِ ما مَعها مِنَ الباطِلِ، وَمُنايَذَةِ وَمُحارِبَةِ مَنْ خالَفَها، أَتْباعُ كُلِّ طائِفَةٍ وفِرْقَةٍ مِنْهُمْ مُبْتَهِجُونَ وَمُعْجَبُونَ بما تَحالَفُوا وتَأَلَّفُوا عَلَيْهِ مِنَ الضَّلالاتِ، يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ على الْحَقِّ دُونَ غَيْرِهِمْ !

وَإِذا أَصابَ النَّاسَ ضَرَرٌ، كَمَرَضٍ في أَبدانِهِمْ، أو قِلَّةٍ في أَمْوالِهِمْ، إلى غيرِ ذلك؛ أَخْلَصُوا الدُّعاءَ لِلَّهِ مُقْبِلِينَ عَلَيْهِ وَحْدَهُ، تائِبِينَ مِنَ الشِّرْكِ؛ لِعِلْمِهِمْ أَنَّهُ لا يَكشِفُ الضَّرَّ إِلَّا اللهُ، ثُمَّ إِذا رَحِمَهُمُ اللهُ فَكَشَفَ ما أَصابَهُمْ مِنَ الضَّرِّ، وَأَصابَهُمْ بِنِعْمَةٍ مِنْهُ، كَعافِيَةٍ أو سَعَةِ رِزْقٍ وغيرِ ذلك؛ إِذا جِماعَةٌ مِنْهُمْ يُشْرِكُونَ مَعَهُ غَيْرَهُ في عِبادَتِهِ، ولا يَشْكُرُونَهُ على نِعْمِهِ !

يُشْرِكُونَ لِتَكُونَ عاقِبَتُهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بما أُعْطِيَناهُمْ مِنَ النِّعَمِ، وَصَرَّفْنَا عَنْهُمْ مِنَ النِّقَمِ !فَتَمَتَّعُوا -أَيُّها المُشْرِكُونَ- مُدَّةَ حَياتِكُمْ

بما أعطاكم الله مِنَ التَّعَمُّ، فسوفَ تَعْلَمُونَ ما سَتَلْقَوْنَهُ مِنَ العَذَابِ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ

فهل أنزلنا على المُشْرِكِينَ حُجَّةً ظاهِرةً تَشْهَدُ بِصِحَّةِ
شِرْكِهِمْ، حتَّى يُوجِبَ لَهُمْ ذلكَ شِدَّةَ التَّشْبِيهِ بِالشِّرْكِ؟!!

وَإِذَا أَصَبْنَا النَّاسَ بِرَحْمَةٍ، كَحُصُولِ الْخَصْبِ وَالْعَافِيَةِ،
فَرَحُوا بِذلكَ، وَإِنْ تُصِيبَهُمْ حَالٌ تَسَوُّوهُمْ -كَقَلَّةٍ فِي أَمْوَالِهِمْ، أَوْ
شِدَّةٍ فِي مَعِيشَتِهِمْ- بِسَبَبِ ذُنُوبِهِمْ، أَصَابَهُمْ يَأْسٌ شَدِيدٌ مِنْ
حُصُولِ الرَّحْمَةِ وَالْفَرَجِ، وَزَوَالِ تِلْكَ الْحَالِ

أَوَلَمْ يَرِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ عِنْدَ الرِّخَاءِ، وَيَبْئِسُونَ عِنْدَ
الشَّدَةِ أَنَّ اللَّهَ يُوسِّعُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ، وَيُضَيِّقُهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ؟
فَهُوَ وَحْدَهُ الْمُتَصَرِّفُ فِي عِبَادِهِ بِحِكْمَتِهِ؛ فَيُغْنِي مَنْ يَشَاءُ، وَيُفْقِرُ
مَنْ يَشَاءُ. إِنَّ فِي تَوْسِيعِ اللَّهِ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ، وَتَضْيِيقِهِ عَلَى مَنْ
يَشَاءُ لَدَلَالٌ وَعَلَامَاتٌ لِلْمُؤْمِنِينَ، يَسْتَدِلُّونَ بِهَا عَلَى رَحْمَةِ اللَّهِ
وَحِكْمَتِهِ، وَكَمَالِ قُدْرَتِهِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ

فَأَعْطِ قَرِيبَكَ حَقَّهُ مِنَ الْبِرِّ وَالصِّلَةِ، وَالْمَسْكِينَ حَقَّهُ مِنَ
الصَّدَقَةِ، وَالْمَسَافِرَ الْمُنْقَطِعَ حَقَّهُ مِنَ الْإِعَانَةِ عَلَى سَفَرِهِ، إِعْطَاءُ
هَؤُلَاءِ حُقُوقَهُمُ الشَّرْعِيَّةَ خَيْرٌ لِلْمُخْلِصِينَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ بِذلكَ
وَجَهَ اللَّهِ، وَأَوْلُنكَ هُمُ الْفَائِزُونَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ

وَمَا أُعْطِيتُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- مِنْ عَطَاءٍ تُرِيدُونَ بِهِ زِيَادَةً
وَأَرْبَاحًا تَحْصُلُ لَكُمْ مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ، بَأَنْ يَرُدُّوهُ إِلَيْكُمْ بِأَكْثَرِ
مِمَّا أُعْطِيتُمُوهُ؛ فَلَا يَرْكُوزُوا وَيَنْمُوا عِنْدَ اللَّهِ؛ فَهُوَ مَالٌ مَمْحُوقٌ
الْبَرَكَةِ، وَلَا ثَوَابَ فِيهِ، وَمَا أَتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ عَنْ إِخْلَاصٍ لِلَّهِ تَعَالَى،
تُرِيدُونَ بِهَا وَجْهَهُ؛ فَأَوْلُنكَ هُمُ الَّذِينَ يُضَاعِفُ اللَّهُ لَهُمْ ثَوَابَ
صَدَقَاتِهِمْ

اللَّهُ وَحْدَهُ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنَ الْعَدَمِ، ثُمَّ رَزَقَكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَمْلِكُونَ شَيْئًا، ثُمَّ يَمِيتُكُمْ مِنْ بَعْدِ حَيَاتِكُمْ، ثُمَّ يُحْيِيكُمْ لِلْبَعْثِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، هَلْ مِنْ آلِهَتِكُمْ -أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ- مَنْ يَقْدِرُ عَلَى فِعْلِ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ؟ تَنْزَّهَ اللَّهُ وَتَقَدَّسَ وَتَعَالَى عَنْ شِرْكٍ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ !

ظَهَرَ نَقْصُ الْخَيْرَاتِ، وَفَقْدَانُ الْمَنَافِعِ وَمَحَقُّ الْبَرَكَاتِ، وَكَثْرَةُ الشَّرُورِ وَخُدُوثُ الْمَضَارِّ وَالْآفَاتِ: فِي بَرِّ الْأَرْضِ وَبَحَرِهَا؛ بِسَبَبِ وَقُوعِ النَّاسِ فِي الشِّرْكِ وَالْكَفْرِ وَالظُّلْمِ، وَارْتِكَابِهِمُ الذُّنُوبَ وَالْمَعَاصِيَ، لَعَلَّهُمْ يَتُوبُونَ إِلَيْهِ، وَيَتْرَكُونَ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ

قُلْ -يَا مُحَمَّدٌ- لِلْمُشْرِكِينَ مِنْ قَوْمِكَ: سَافِرُوا فِي الْأَرْضِ، فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ نَهَايَةُ الْأُمَمِ مِنْ قَبْلِكُمْ، كَانَ أَكْثَرُ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ مُشْرِكِينَ، فَعَاقِبَتُهُمْ كَانَتْ شَرَّ الْعَوَاقِبِ؛ إِذْ أَهْلَكَهُمُ اللَّهُ؛ فَاحْذَرُوا أَنْ تَفْعَلُوا كَأَفْعَالِهِمْ، فَيُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَهُمْ

فَانصَبْ قَصْدَكَ، وَأَقْبِلْ بِقَلْبِكَ عَلَى دِينِ الْإِسْلَامِ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ مُعْتَدِلًا مُسْتَقِيمًا لَا اعْوِجَاجَ فِيهِ، وَبَادِرْ إِلَى الْعَمَلِ بِأَوَامِرِهِ وَاجْتَنَابِ نَوَاهِيهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ الَّذِي لَا يُمَكِّنُ رَدُّ مَجِيئِهِ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَنْفَرُّ النَّاسُ فَرِيقَيْنِ: فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ، وَفَرِيقٌ فِي النَّارِ

مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ فَإِنَّمَا وَبَالَ كُفْرِهِ وَاقَعَ عَلَيْهِ، وَلَا يَضُرُّ بِكُفْرِهِ إِلَّا نَفْسَهُ، وَمَنْ عَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا بِإِخْلَاصٍ لِلَّهِ تَعَالَى وَمُتَابَعَةٍ لِشَرِّعِهِ، فَإِنَّمَا يُهَيِّئُونَ لَأَنْفُسِهِمُ النِّجَاةَ مِنَ النَّارِ، وَالْفَوْزَ بِالْجَنَّةِ

لِيَجْزِيَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثَوَابًا حَسَنًا
كَرِيمًا مِنْ فَضْلِهِ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ بِهِ؛ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ،
وهو مُعَاقِبُهُمْ سُبْحَانَهُ بَعْدَهُ

وَمِنَ الْعَلَامَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى وَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَعِلْمِهِ
وَرَحْمَتِهِ، وَحِكْمَتِهِ وَكَمَالِ قُدْرَتِهِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ: أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ
مُبَشِّرَاتٍ لَكُمْ بِحُصُولِ مَا فِيهِ نَفْعُكُمْ، مِنْ نُزُولِ الْمَطَرِ أَوْ غَيْرِهِ،
وَلِيُصِيبَكُمْ بِبَعْضِ نِعَمِهِ، وَلِتَسِيرَ السُّفُنُ فِي الْبَحَارِ عِنْدَ هُبُوبِهَا
بَأَمْرِ اللَّهِ لَهَا، وَتَقْدِيرِهِ وَتَسْخِيرِهِ ذَلِكَ، وَلِتَلْتَمِسُوا بِالسَّيْرِ فِي
الْبَحْرِ مِنْ رِزْقِ اللَّهِ، وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ رَبَّكُمْ عَلَى تِلْكَ النِّعَمِ
الْإِلَهِيَّةِ، فَتَقُومُونَ بِتَوْحِيدِهِ وَطَاعَتِهِ سُبْحَانَهُ

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ -يَا مُحَمَّدُ- رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمُ الْكَافِرِينَ،
فَجَاؤُوهُمْ بِالْآيَاتِ الْوَاضِحَاتِ عَلَى صِدْقِهِمْ، فَأَهْلَكْنَا الَّذِينَ
كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِي وَرُسُلِي، وَنَجَّيْنَا الْمُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ،
وَكَانَ وَاجِبًا عَلَيْنَا أَنْ نَنْصُرَ الْمُؤْمِنِينَ

اللَّهُ وَحْدَهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى، فَتُحَرِّكُ سَحَابًا
مِنْ سُكُونِهِ وَتُسَيِّرُهُ، فَيَمُدُّهُ اللَّهُ وَيَنْشُرُهُ فِي السَّمَاءِ عَلَى الْهَيْئَةِ
وَالصِّفَةِ الَّتِي يَشَاءُهَا سُبْحَانَهُ بِحِكْمَتِهِ، وَيَجْعَلُ السَّحَابَ قِطْعًا،
فَتَرَى الْمَطَرَ يَقْطُرُ مِنْ بَيْنِ السَّحَابِ، فَإِذَا أَنْزَلَ اللَّهُ الْمَطَرَ عَلَى
مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، تَرَاهُمْ يَفْرَحُونَ بِنُزُولِهِ

وَالْحَالُ أَنَّهُمْ قَبْلَ نُزُولِ الْمَطَرِ عَلَيْهِمْ كَانُوا حَزِينِينَ يَأْسِينَ
بِاحْتِبَاسِهِ عَنْهُمْ

فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ الْمَطَرِ الَّذِي رَحِمَ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ: كَيْفَ يُحْيِي
بِهِ اللَّهُ الْأَرْضَ الْيَابِسَةَ، فَيُنْبِتُهَا بَعْدَ قُحُوطِهَا وَجُدُوبِهَا؟ إِنَّ اللَّهَ

الَّذِي أَحْيَا الْأَرْضَ الْمَيِّتَةَ بِالْمَطَرِ، لَمْخِييَ الْمَوْتَى فِي الْآخِرَةِ
بِقُدْرَتِهِ، وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ سُبْحَانَهُ
وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا مُمْسِدَةً لِلزَّرْعِ، فَرَأَى أَصْحَابُ الزَّرْعِ
زَرْعَهُمْ قَدْ فَسَدَ بِالرَّيْحِ فَاصْفَرَّ وَيَبِسَ؛ لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِ هَذِهِ الْحَالِ
يَكْفُرُونَ بِرَبِّهِمْ، فَيَبْتَئِسُونَ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَيَجْحَدُونَ نِعْمَةَ سُبْحَانِهِ !
فَإِنَّكَ -يَا مُحَمَّدٌ- لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تُسْمِعَ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارَ الَّذِينَ
مَاتَتْ قُلُوبُهُمْ سَمَاعًا يَنْتَفِعُونَ بِهِ، إِنْ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُمْ، وَلَا
تَقْدِرُ -يَا مُحَمَّدٌ- أَنْ تُسْمِعَ الْكُفَّارَ الَّذِينَ أَصَمَّ اللَّهُ آذَانَهُمْ سَمَاعًا
يَنْتَفِعُونَ بِهِ حِينَ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْحَقِّ، وَبِالْأُولَى إِذَا أَعْرَضُوا عَنْ
سَمَاعِ الْحَقِّ وَتَدَبَّرَهُ

وَمَا أَنْتَ -يَا مُحَمَّدٌ- بِهَادِي الْكُفَّارِ الَّذِينَ أَعَمَّى اللَّهُ بَصَائِرَهُمْ
وَقُلُوبَهُمْ عَنِ الْحَقِّ؛ فَتَصْرِفُهُمْ عَنْ ضَلَالِهِمْ وَكُفْرِهِمْ، وَتَرْدُهُمْ
إِلَى الْإِيمَانِ، مَا تُسْمِعُ -يَا مُحَمَّدٌ- الْحَقَّ سَمَاعَ انْتِفَاعٍ بِهِ إِلَّا الَّذِينَ
يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا، فَهُمْ مُنْذِلُونَ وَخَاضِعُونَ لِلَّهِ، مُنْقَادُونَ لَطَاعَتِهِ
سُبْحَانَهُ

اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- وَابْتَدَأَ إِنْشَاءَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ، ثُمَّ
جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قُوَّةً مِنْ بَعْدِ ضَعْفِكُمْ، ثُمَّ جَعَلَ اللَّهُ فِيكُمْ ضَعْفًا مِنْ
بَعْدِ قُوَّتِكُمْ، فَتَهَرَّمُونَ وَتَشْيَبُونَ، يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ فِي عِبَادِهِ مِنْ
ضَعْفٍ وَقُوَّةٍ، وَيَتَصَرَّفُ فِي خَلْقِهِ بِمَا يَرِيدُ بِحَسَبِ حِكْمَتِهِ
سُبْحَانَهُ، وَاللَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَهُوَ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
وَيَوْمَ تَأْتِي الْقِيَامَةُ يُقْسِمُ الْكُفَّارُ بِأَنَّهُمْ مَا مَكَّنُوا مِنْ قَبْلُ فِي
الدُّنْيَا وَالْقَبْرِ غَيْرَ سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ، كَمَا كَذَّبَ الْكُفَّارُ وَصَرَفُوا عَنْ
الْحَقِّ فِي قَسَمِهِمْ بِأَنَّهُمْ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ، كَذَلِكَ كَانُوا يُكَذِّبُونَ

وَيُصْرَفُونَ عَنِ الْحَقِّ وَالصَّوَابِ فِي الدُّنْيَا أَيْضًا، فَذَاكَ خُلُقٌ قَبِيحٌ تَخَلَّقُوا بِهِ، فَصَارَ لَهُمْ سَجِيَّةً وَطَبْعًا

وَقَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ الْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ لِأَوْلَئِكَ الْكُفَّارِ الْكَاذِبِينَ: وَاللَّهِ لَقَدْ مَكَّنْتُمْ الْوَقْتَ الَّذِي قَدَّرَهُ اللَّهُ لَكُمْ وَكُتِبَ فِي اللُّوحِ الْمَحْفُوظِ إِلَى يَوْمِ بَعْتِكُمْ، وَلَمْ تَلْبَثُوا سَاعَةً كَمَا زَعَمْتُمْ، فَهَذَا هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ الَّذِي يَبْعَثُ اللَّهُ فِيهِ النَّاسَ مِنْ قُبُورِهِمْ، وَلِكِنِّكُمْ كُنْتُمْ فِي الدُّنْيَا - أَيُّهَا الْكُفَّارُ - لَا تَعْلَمُونَ أَنَّكُمْ تُبْعَثُونَ بَعْدَ مَوْتِكُمْ، بَلْ كَان دَأْبُكُمْ الْإِنْكَارَ وَالتَّكْذِيبَ بِذَلِكَ

فِيَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا يَنْفَعُ الْمَكْذِبِينَ بِالْبَعْثِ اعْتِذَارُهُمْ، وَلَا يُطْلَبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الظَّالِمِينَ أَنْ يَرْجِعُوا إِلَى مَا يُرْضِي اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - بِالتَّوْبَةِ وَالْإِيمَانِ وَالطَّاعَةِ، حَتَّى تَزَالَ عَنْهُمْ الْمُعَاتَبَةُ وَالْمُؤَاخَذَةُ

وَلَقَدْ ذَكَرْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ كُلِّ مَثَلٍ تَتَّبِعُنَّ بِهِ الْحَقَائِقُ، وَتَنْقَطِعُ بِهِ الْحُجَّةُ، وَلَئِنْ جِئْتَ الْكُفَّارَ - يَا مُحَمَّدٌ - بِأَيِّ عِلَامَةٍ وَدَلَالَةٍ تُثَبِّتُ صِدْقَكَ، لَيَقُولُنَّ: مَا أَنْتُمْ - أَيُّهَا الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ بِكَ - إِلَّا مُتَّبِعُونَ لِلْبَاطِلِ !

مِثْلَمَا خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ أَوْلَئِكَ الْكُفَّارِ فَلَا يَفْقَهُونَ آيَاتِ اللَّهِ، يَخْتِمُ أَيْضًا عَلَى قُلُوبِ غَيْرِهِمْ مِنَ الْكُفَّارِ الَّذِينَ انْتَفَى الْعِلْمُ عَنْهُمْ، فَلَا يُؤْمِنُونَ بِالْحَقِّ أَبَدًا

فَاصْبِرْ - يَا مُحَمَّدٌ - عَلَى دَعْوَةِ الْكُفَّارِ وَتَعَنُّتِهِمْ وَعِنَادِهِمْ؛ فَإِنَّ مَا وَعَدَ اللَّهُ بِهِ مِنْ نَصْرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَإِهْلَاكِ الْكَافِرِينَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ: آتٍ لَا مَحَالَةَ، وَلَا يَحْمِلَنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ وَعْدَ اللَّهِ، عَلَى الطَّيِّشِ وَعَدَمِ الصَّبْرِ عَلَى اتِّبَاعِ الْحَقِّ وَتَبْلِيغِهِ

هذه الحروف المقطعة التي افتتحت بها هذه السورة
وغيرها، تأتي لبيان إعجاز القرآن؛ حيث تُظهر عجز الخلق
عن معارضته بمثله، مع أنه مركَّب من هذه الحروف العربية
التي يتحدَّثون بها

تلك الآيات العالية الرتبة، العظيمة الشأن: آيات الكتاب
المُشمِّل على الحكمة، المحكَّم في ألفاظه ومعانيه، فلا نقص
فيه، ولا تناقض، ولا خلل

تلك آيات الكتاب حال كونها هُدى من كلِّ ضلالة، ورحمة
في الدنيا والآخرة للمُحسِنين في عبادة الله، المُحسِنين إلى عباد
الله

أولئك المُحسِنون هم الَّذِينَ يُؤَدُّون الصَّلَواتِ تَامَةً مُستقيمةً
على الوجه الَّذي شرَّعه الله تعالى، ويؤدُّون زكاة أموالهم لأهلها
المُستَحِقِّين لها، كما فرض الله تعالى، وهم يُؤْمِنُونَ إيمانًا جازمًا
لا شكَّ فيه بالآخرة، وما يكون فيها

أولئك المتَّصِفون بتلك الصِّفات: على هُدى حاصلٍ لهم من
ربِّهم، وأولئك هم الفائزون في الدنيا والآخرة

ومن النَّاس مَنْ يَشْتَرِي الحديثَ الباطلَ المُلهي للقلوب؛
ليصدَّ عن اتِّباع الهدى والحقِّ بلا علم، وليستهزئ بسبيل الله،
ويسخر منها، أولئك لهم عذابٌ يُخزيهم، ويُهينُهم، ويذلُّهم

وإذا تُتلى عليه آياتُ القرآن؛ ليؤمن بها، وينقاد إليها، أعرَضَ
عنها وهو شديدُ التَّكَبُّر عن قبولها، فلم تدخُلْ قلبه ولا انتفع بها،
بل أدبر عنها، كأنه لا يسمَعُها! كأنَّ في أذنيه صممًا وثقلًا يمنعه
من سماعها! فبشِّرْه بعذابٍ مُؤَلِّمٍ مُوجِعٍ

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا بِكُلِّ مَا وَجَّبَ عَلَيْهِمُ الْإِيمَانُ بِهِ، وَعَمِلُوا
 الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ بِإِخْلَاصٍ لِلَّهِ تَعَالَى، وَمُتَابِعَةٍ لِشَرِّعِهِ: لَهُمْ فِي
 الْآخِرَةِ جَنَّاتٌ يَتَنَعَّمُونَ فِيهَا بِأَنْوَاعِ النَّعِيمِ
 مَا كَثُرَتْ فِيهَا أَبَدًا، وَعَدَّاهُمُ اللَّهُ هَذَا وَعَدًّا حَقًّا، لَا يُمَكِّنُ أَنْ
 يَتَخَلَّفَ وَقَوْعُهُ، وَاللَّهُ هُوَ الَّذِي لَهُ كَمَالُ الْعِزَّةِ؛ فَفَقَّهَ وَغَلَبَ كُلَّ
 شَيْءٍ، وَدَانَ لَهُ كُلَّ شَيْءٍ، وَمِنْ عِزَّتِهِ أَنَّهُ لَا يَمْنَعُهُ شَيْءٌ مِنْ تَنْفِيزِ
 وَعَدِهِ وَوَعِيدِهِ، وَلَهُ كَمَالُ الْحِكْمَةِ وَالْإِحْكَامِ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ،
 وَمِنْ عِزَّتِهِ وَحِكْمَتِهِ أَنَّهُ وَفَّقَ مَنْ وَفَّقَ مِنْ عِبَادِهِ، وَخَذَلَ مَنْ خَذَلَ
 مِنْهُمْ

خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ مَرْفُوعَةً بِلَا أَعْمِدَةٍ، كَمَا تَرَوْنَهَا،
 وَجَعَلَ فِي الْأَرْضِ جِبَالًا ثَابِتَةً؛ لِنَلَّا تَتَمَایَلَ الْأَرْضُ، وَتَضْطَرِبَ
 بِكُمْ، وَفَرَّقَ اللَّهُ فِي الْأَرْضِ وَنَشَرَ مِنْ كُلِّ أَنْوَاعِ الدَّوَابِّ، وَأَنْزَلْنَا
 مِنَ السَّمَاءِ مَطَرًا، فَأَنْبَتْنَا بِسَبَبِهِ مِنْ كُلِّ أَنْصَافِ النَّبَاتَاتِ الْحَسَنَةِ
 الْمَنْظَرِ، الْكَثِيرَةِ الْمَنَافِعِ

هَذَا الَّذِي تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ مِنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا
 هُوَ خَلْقُ اللَّهِ وَحْدَهُ؛ فَأُرُونِي -أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ- أَيَّ شَيْءٍ خَلَقَ
 الَّذِينَ تَعْبُدُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَتَّى اسْتَحَقُّوا تِلْكَ الْعِبَادَةَ مِنْكُمْ؟! بَلِ
 الْمُشْرِكُونَ فِي ذَهَابٍ عَنِ الْحَقِّ وَاضِحٍ ظَاهِرٍ!

وَلَقَدْ آتَيْنَا لَقْمَانَ الْفَهْمَ وَالْعِلْمَ وَالْفِقَةَ فِي الدِّينِ، وَالْإِصَابَةَ فِي
 الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ؛ وَأَمَرْنَاهُ أَنْ يَشْكُرَ لِلَّهِ، وَمَنْ يَشْكُرْ لِلَّهِ عَلَى نِعَمِهِ،
 فَإِنَّمَا يَعُودُ نَفْعُ ذَلِكَ وَثَوَابُهُ إِلَيْهِ لَا إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَمَنْ كَفَرَ نِعَمَ
 اللَّهِ عَلَيْهِ، فَإِنَّمَا يَرْجِعُ ضَرَرُهُ كُفْرِهِ وَوَبَالَه عَلَيْهِ؛ فَاللَّهُ غَنِيٌّ عَنِ
 شُكْرِ الْعِبَادِ، وَهُوَ مَحْمُودٌ فِي ذَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ عَلَى
 كُلِّ حَالٍ، وَهُوَ حَامِدٌ لِمَنْ يَشْكُرُهُ سُبْحَانَهُ

واذْكُرْ إِذْ أَوْصَىٰ لُقْمَانُ ابْنَهُ فَقَالَ: يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ شَيْئًا،
إِنَّ الشِّرْكَ بِاللَّهِ خَطَأٌ وَذَنْبٌ عَظِيمٌ؛ فَالْمُشْرِكُ يَظْلِمُ نَفْسَهُ بَصْرَفِ
الْعِبَادَةِ إِلَى مَنْ لَا يَسْتَحِقُّهَا!

وَعَهَدْنَا إِلَى الْإِنْسَانِ وَأَمَرْنَاهُ بِبِرِّ وَالذِّيَّةِ، وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمَا،
حَمَلَتْ الْأُمُّ وَلَدَهَا فِي بَطْنِهَا، وَهِيَ تَزْدَادُ ضَعْفًا عَلَى ضَعْفٍ،
وِثْقًا وَشِدَّةً، إِلَى أَنْ تَضَعَهُ بِمَشَقَّةٍ وَأَلَمٍ، وَفِطَامُ الْوَلَدِ فِي عَامَيْنِ
مِنْ وَلادَتِهِ، تُعَانِي فِيهِمَا الْأُمُّ مَشَقَّةَ رِضَاعِهِ، وَالْقِيَامِ عَلَى
شُؤُونِهِ، وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ أَنْ اشْكُرْ اللَّهَ عَلَى إِعْنَامِهِ عَلَيْكَ، وَذَلِكَ
بِالْقِيَامِ بِعِبُودِيَّتِهِ وَطَاعَتِهِ وَحَدِّهِ، وَاشْكُرْ وَالِدَيْكَ عَلَى مَا تَحْمِلَاهُ
وَبَذْلَاهُ مِنْ أَجْلِكَ؛ فَأَطْعُمَاهُ، وَأَحْسِنْ إِلَيْهِمَا، إِلَيَّ لَا إِلَى غَيْرِي
مَرْجِعُكَ - أَيُّهَا الْإِنْسَانُ - فَأَسْأَلُكَ عَنْ شُكْرِي، وَشُكْرِ وَالِدَيْكَ،
وَأُجَازِيكَ عَلَى عَمَلِكَ

وَإِنْ اجْتَهَدَ وَالِدَاكَ الْمُشْرِكَانِ - أَيُّهَا الْمُسْلِمُ - وَحَرَصَا كُلُّ
الْحَرِصِ عَلَى أَنْ تَجْعَلَ لِي شَرِيكًا، لَا بُرْهَانَ عَلَى صِحَّةِ
الْوَهْيِيَّةِ؛ فَلَا تُطْعِمَاهُ فِيمَا يَأْمُرَانِكَ بِهِ مِنَ الشِّرْكِ، وَصَاحِبُهُمَا
فِي الدُّنْيَا مُصَاحِبَةٌ حَسَنَةٌ؛ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمَا، وَالطَّاعَةِ لَهُمَا فِيمَا
لَا إِثْمَ فِيهِ عَلَيْكَ، وَاسْلُوكَ طَرِيقَ الَّذِينَ أَقْبَلُوا عَلَيَّ، وَرَجَعُوا
وَتَابُوا إِلَيَّ، وَاقْتَدِ بِهِمْ، ثُمَّ إِلَيَّ مَصِيرُكُمْ جَمِيعًا - أَيُّهَا النَّاسُ -
فَأَنْبِئُكُمْ بِجَمِيعِ أَعْمَالِكُمْ: خَيْرُهَا وَشَرُّهَا

قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ: يَا بُنَيَّ، لَوْ كَانَ الْعَمَلُ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ زَنَةً
حَبَّةً مِنْ خَرْدَلٍ، فَكَانَ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي جَهَةٍ مَا فِي السَّمَوَاتِ أَوْ
فِي الْأَرْضِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَحَاسِبُ عَلَيْهِ، وَيُوقِّي
جَزَاءَهُ، إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ دَقَائِقَ الْأَشْيَاءِ، وَيَسْلُوكَ فِي إِصْصَالِهَا لُبْلُوغَ

أمرٍ يُريده مَسْلَكَ الرَّفْقِ، بِالْوُجُوهِ الْخَفِيَّةِ الْغَامِضَةِ، وَهُوَ بِالْغِ
الْعِلْمِ بِخَفَايَا الْأُمُورِ وَبَوَاطِنِهَا؛ فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ سُبْحَانَهُ
يَا بُنَيَّ، أَدِ الصَّلَاةَ تَامَّةً مُسْتَقِيمَةً، كَمَا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى، وَأْمُرِ
النَّاسَ بِتَوْحِيدِ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ، وَاتَّبَاعِ شَرْعِهِ، وَأِنَّهُ النَّاسَ عَنِ
الشِّرْكِ بِاللَّهِ وَمَعْصِيَتِهِ، وَتَحَمَّلْ مَا أَصَابَكَ مِنْ بَلَاءٍ وَأْدَى، إِنَّ
ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي أَوْجَبَهَا اللَّهُ تَعَالَى عَلَى عِبَادِهِ، وَتَحْتَاجُ إِلَى
حَزْمٍ وَعَزْمٍ لِلْقِيَامِ بِهَا

وَلَا تُمَلِّ خَذَكَ، وَتُعْرِضْ بَوَجْهِكَ عَنِ النَّاسِ؛ تَكْبُرًا عَلَيْهِمْ،
وَتَهَاوُنًا وَاسْتِحْقَارًا لَشَأْنِهِمْ، وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ فَرِحًا
مُتَبَخِّرًا، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُتَكَبِّرٍ، مَزْهُوٍّ، مُعْجَبٍ بِنَفْسِهِ، شَدِيدِ
الْفَخْرِ عَلَى النَّاسِ بِمَا أُعْطِيَ مِنَ النِّعَمِ

وَتَوَسَّطْ، وَاعْتَدِلْ فِي مِشْيَتِكَ بَلَا تَكْبُرْ وَلَا اسْتِعْجَالٍ، بَلْ امْشِ
بِسَكِينَةٍ وَوَقَارٍ وَتَوَاضُعٍ، بَلَا سُرْعَةٍ وَلَا تَبَاطُؤٍ، وَاخْفِضْ مِنْ
صَوْتِكَ، فَلَا تَرْفَعْهُ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ، إِنَّ أَقْبَحَ الْأَصْوَاتِ وَأَشْنَعَهَا
لَصَوْتُ الْحَمِيرِ إِذَا رَفَعَتْ صَوْتَهَا بِالنَّهْيِ!

أَلَمْ تَرَوْا - أَيُّهَا النَّاسُ - أَنَّ اللَّهَ وَحْدَهُ هُوَ مَنْ ذَلَّلَ مِنْ أَجْلِكُمْ مَا
فِي السَّمَوَاتِ مِنْ شَمْسٍ وَقَمَرٍ وَنُجُومٍ وَسَحَابٍ وَرِيَّاحٍ وَغَيْرِهَا،
وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ حَيَوَانَاتٍ وَبَنَاتَاتٍ وَأَنْهَارٍ وَبَحَارٍ وَمَعَادِنٍ،
وغير ذلك، وَأَتَمَّ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ الْكَثِيرَةَ الْوَافِيَةَ، وَأَوْسَعَكُمْ وَغَمَرَكُمْ
بِهَا، ظَاهِرَةً كَانَتْ أَوْ بَاطِنَةً، وَلَكِنْ مَعَ ذَلِكَ، فَتَنَةٌ مَنْ يُخَاصِمُ فِي
اللَّهِ مِنَ النَّاسِ؛ كَأَن يُخَاصِمَ فِي وُجُودِهِ، أَوْ تَوْحِيدِهِ، أَوْ أَسْمَائِهِ
وَصِفَاتِهِ، أَوْ دِينِهِ وَأَحْكَامِهِ وَشَرْعِهِ، بَلَا عِلْمٍ عِنْدَهُ، وَبَغَيْرِ هُدًى،
وَبَلَا كِتَابٍ مُبِينٍ لِلْحَقِّ يُبَيِّنُ صِحَّةَ دَعْوَاهِ

وَإِذَا قِيلَ لِأُولَئِكَ الْمَجَادِلِينَ فِي اللَّهِ: اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ، قَالُوا مُعَارَضِينَ: لَنْ نَتَّبِعَ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا مِنَ الدِّينِ، وَنَقْلُهُمْ فِيهِ؛ فَإِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْحَقِّ! أَيَتَّبِعُونَ آبَاءَهُمُ الضَّالِّينَ حَتَّىٰ لَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ: يَدْعُوهُمْ بِتَرْبِيئِهِ الْبَاطِلَ لَهُمْ إِلَىٰ أَنْ يُعَذِّبُوا فِي النَّارِ الَّتِي تَسْتَعِرُّ وَتَلْتَهِبُ؟! فَهَلْ هَذَا مُوجِبٌ لِاتِّبَاعِهِمْ، أَمْ أَنَّ ذَلِكَ مُحَذِّرٌ مِنْ سُلُوكِ سَبِيلِهِمْ؟!!

وَمَنْ يُخْلِصْ عَمَلَهُ وَقَصَدَهُ لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَهُوَ مَعَ إِخْلَاصِهِ مُطِيعٌ لِلَّهِ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ كَأَنَّهُ يَرَاهُ، وَمُتَّبِعٌ لَشَرِيعَةِ نَبِيِّهِ، وَمُحْسِنٌ إِلَىٰ خَلْقِهِ: فَقَدْ تَمَسَّكَ بِأَوْثَقِ رِبَاطٍ يَتَمَسَّكُ بِهِ مَنْ يَرِيدُ الْفَوْزَ وَالنَّجَاةَ مِنَ الضَّلَالِ وَالْعَذَابِ، وَإِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ تَرْجِعُ نَهَائَةُ كُلِّ أَمْرٍ وَمَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ وَبِمَا جَاءَهُ مِنَ الْحَقِّ، فَلَا يَحْزَنُكَ -يَا مُحَمَّدُ- كُفْرُهُ، إِلَيْنَا وَحْدَنَا مَرْجِعُهُمْ، فَخَبِّرْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِمَا عَمِلُوهُ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي، وَنُجَازِيهِمْ عَلَيْهِ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ مِنَ الْعَقَائِدِ الْبَاطِلَةِ، وَالْإِرَادَاتِ السَّيِّئَةِ نَمْتَعُ هَؤُلَاءِ الْكَافِرِينَ فِي الدُّنْيَا تَمَتُّعًا قَلِيلًا، ثُمَّ نُرْثِيهِمْ عَلَىٰ كُرْهِ مَنْهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ شَدِيدٍ ثَقِيلٍ، وَنُلْجِنُهُمْ إِلَيْهِ

وَلَئِنْ سَأَلْتِ -يَا مُحَمَّدُ- هَؤُلَاءِ الْكَافِرِينَ: مَنْ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ؟ لَيَقُولَنَّ: اللَّهُ، قُلْ لَهُمْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَظْهَرَ الْحُجَّةَ، وَأَقَامَهَا عَلَيْكُمْ بِاعْتِرَافِكُمْ، بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ اسْتِحْقَاقَ اللَّهِ تَعَالَىٰ لِلْحَمْدِ، وَأَنَّ الْخَالِقَ هُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ وَحْدَهُ

لِلَّهِ وَحْدَهُ جَمِيعُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، فَهُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَمَالِكُهُ وَمُدَبِّرُهُ، إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ عَمَّا سِوَاهُ، الْمَحْمُودُ فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ، وَعَلَىٰ نِعَمِهِ، وَتَدْبِيرِ خَلْقِهِ

ولو فُرِضَ أَنَّ كُلَّ أَشْجَارِ الْأَرْضِ بُرَيْثٌ أَقْلَامًا، وَصَارَ
الْبَحْرُ لَهَا مِدَادًا، وَيَمُدُّ الْبَحْرُ إِذَا نَشِفَ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ؛ لِيُكْتَبَ كَلَامُ
اللَّهِ بِتِلْكَ الْأَقْلَامِ وَالْمِدَادِ؛ لَانْتَهَتْ تِلْكَ الْأَقْلَامُ، وَفَنِيَ ذَلِكَ الْمِدَادُ،
وَلَمْ تَنْفَدْ كَلِمَاتُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى! إِنَّ اللَّهَ غَالِبٌ وَقَاهِرٌ لِكُلِّ
شَيْءٍ، فَلَا مَانِعَ لِمَا أَرَادَ، وَلَا رَادَّ لِحُكْمِهِ، حَكِيمٌ فِي أَعْمَالِهِ
وَأَقْوَالِهِ وَشُرْعِهِ، وَفِي تَدْبِيرِ عِبَادِهِ

مَا خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلَا بَعَثَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا كَخَلَقِ نَفْسٍ
وَاحِدَةٍ، وَبَعَثَ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ؛ لِكَمَالِ قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى، إِنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ
جَمِيعَ الْمَسْمُوعَاتِ، وَمِنْ ذَلِكَ سَمِعَهُ لِمَا يَقُولُ الْمُشْرِكُونَ
وَيَفْتَرُونَهُ عَلَى رَبِّهِمْ، وَهُوَ مُبْصِرٌ لَجَمِيعِ الْمُبْصِرَاتِ، وَمِنْ ذَلِكَ
إِبْصَارُهُ مَا يَعْمَلُهُ الْمُشْرِكُونَ وَغَيْرُهُمْ، وَهُوَ مُجَازِيهِمْ عَلَى ذَلِكَ
أَلَمْ تَرَ -يَا مُحَمَّدٌ- أَنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ، وَيُدْخِلُ النَّهَارَ
فِي اللَّيْلِ؟ وَذَلَّلَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ يَجْرِيَانِ؛ تَحْقِيقًا لِمَصَالِحِ الْعِبَادِ
وَمَنَافِعِهِمْ فِي دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ، كُلٌّ مِنَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ يَجْرِيَانِ فِي
السَّمَاءِ إِلَى وَقْتٍ مُّحَدَّدٍ مَعْلُومٍ، وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ مِنْ خَيْرٍ أَوْ
شَرٍّ ذُو خَبْرَةٍ، فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِكُمْ، وَهُوَ مُجَازِيكُمْ
عَلَيْهَا

ذَلِكَ الَّذِي بَيَّنَّ اللَّهُ لَكُمْ مِمَّا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ: إِنَّمَا فَعَلَهُ بِسَبَبٍ أَنَّهُ الْإِلَهُ
الْحَقُّ الْقَادِرُ عَلَى ذَلِكَ، الَّذِي يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ وَحْدَهُ دُونَ مَا سِوَاهُ،
وَأَنَّ مَا يَدْعُوهُ الْمُشْرِكُونَ مِنْ دُونَ اللَّهِ مِنَ الْأَصْنَامِ وَغَيْرِهَا: هُوَ
الْبَاطِلُ الَّذِي يَضْمَحِلُّ فَلَا يَبْقَى، وَلَا تَنْفَعُ عِبَادَتُهُ، وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ
الْعَلِيُّ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ بِذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ، الْكَبِيرُ فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ
أَلَمْ تَرَ -يَا مُحَمَّدٌ- أَنَّ السُّفْنَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِلُطْفِ اللَّهِ
وَتَسْخِيرِهِ؛ نِعْمَةً مِنْهُ عَلَى عِبَادِهِ، لِيُزَيِّكُمْ بَعْضَ آيَاتِهِ، فَتَسْتَدِلُّوا

بها على وجوده ووَحدانيته، وعِلْمه وقدرته، وغير ذلك، إِنَّ فيما
ذُكِرَ لَعَلَامَاتٍ وَدَلَالَاتٍ وَاضِحَاتٍ على ما لَهُ سُبْحَانَهُ مِنْ صِفَاتِ
الْكَمَالِ، يَسْتَدِلُّ بها كُلُّ كَثِيرِ الصَّبْرِ على طاعةِ الله، وعلى أقداره
المؤلمة، وعن معاصيه؛ وَكُلُّ كَثِيرِ الشُّكْرِ لله على نِعَمِهِ

وَإِذَا عَلَا الْمُشْرِكِينَ عِنْدَ رُكُوبِهِمِ الْبَحْرَ مَوْجٌ يُغْطِيهِمْ،
كَالْجِبَالِ أَوْ الْغَمَامِ الَّذِي يُظِلُّ مَنْ تَحْتَهُ، فَخَافُوا الْغَرَقَ وَالْهَلَكَ:
دَعَا اللهُ وَحْدَهُ أَنْ يُنَجِّيَهُمْ، وَلَمْ يَسْتَغِيثُوا بِغَيْرِهِ، فَلَمَّا نَجَّاهُمْ اللهُ
مِنَ الْغَرَقِ، وَأَوْصَلَهُمْ إِلَى الْبَرِّ، فَمِنْهُمْ عَذْلٌ مُوفٍ فِي الْبَرِّ بِمَا
عَاهَدَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الْبَحْرِ مِنَ التَّوْحِيدِ وَالْإِخْلَاصِ، وَمِنْهُمْ كَافِرٌ،
وَمَا يَكْفُرُ بِأَدْلَتِنَا وَحُجَجِنَا، وَيُكَذِّبُ بِهَا وَيُنْكِرُهَا إِلَّا كُلُّ غَدَّارٍ
شَدِيدِ الْعَدْرِ بَعْدَهُ، جَحُودٍ عَظِيمِ الْجَدِّ لِنِعَمِ رَبِّهِ

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اجْعَلُوا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ سَخَطِ اللهِ وَعَذَابِهِ وَقَايَةً؛
بِفِعْلِ أَمْرِهِ، وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ، وَاخْشَوْا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِي لَا
يُغْنِي فِيهِ وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ، وَلَا مَوْلُودٌ يُغْنِي فِيهِ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا، إِنَّ
مَا وَعَدَ اللهُ عِبَادَهُ مِنَ الْبَعْثِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاقِعٌ لَا مُحَالَهَ، فَلَا
تَخْدَعَنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا بِزِينَتِهَا وَلَذَاتِهَا عَنِ التَّزُّودِ وَالِاسْتِعْدَادِ
لِلْآخِرَةِ، وَلَا يَخْدَعَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ فَيَصْرِفَكُمُ عَنْ طَاعَةِ اللهِ،
وَيَغُرَّكُمْ بِحِلْمِ اللهِ وَإِمَاهِلِهِ، وَيُمَيِّنَكُم بِالْأَمَانِيِّ الْبَاطِلَةِ

إِنَّ اللهَ وَحْدَهُ عِنْدَهُ عِلْمُ وَقْتِ الْقِيَامَةِ، الَّذِي تَقُومُ فِيهِ، وَيُنْزَلُ
وَحْدَهُ الْمَطَرُ بِقُدْرَتِهِ، فِي الْوَقْتِ الَّذِي قَدَرَهُ، وَيَعْلَمُ وَحْدَهُ مَا فِي
أَرْحَامِ الْأُمّهَاتِ مِمَّا يُرِيدُ أَنْ يَخْلُقَهُ فِيهَا، وَلَا تَدْرِي نَفْسٌ مَا الَّذِي
سَتَكْسِبُهُ فِي يَوْمِ غَدٍ مِنْ كَسْبِ دِينِهَا وَدُنْيَاهَا؛ فَاللهُ وَحْدَهُ يَعْلَمُ
ذَلِكَ، وَلَا تَدْرِي نَفْسٌ فِي أَيِّ أَرْضٍ يَكُونُ مَوْتُهَا؛ فَاللهُ وَحْدَهُ مَنْ
يَخْتَصُّ بِعِلْمِ ذَلِكَ، إِنَّ اللهَ ذُو عِلْمٍ بِكُلِّ شَيْءٍ، مُحِيطٌ بِالظُّوْهِرِ
وَالْبَوَاطِنِ، وَالْخَفَايَا وَالسَّرَائِرِ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ سُبْحَانَهُ

هذه الحروف المقطعة التي افتتحت بها هذه السورة
وغيرها، تأتي لبيان إعجاز القرآن؛ حيث تُظهر عجز الخلق
عن معارضته بمثله، مع أنه مركَّب من هذه الحروف العربية
التي يتحدَّثون بها

هذا القرآن لا شك أنه نزل من عند الله الخالق المالك المدبِّر
لجميع العالمين

بل أيقول المشركون: اختلق محمد القرآن من تلقاء نفسه،
ونسبته إلى الله كذباً؟! ليس الأمر كما يقولون؛ فالقرآن هو
الصدق الثابت المنزل إليك من عند ربك يا محمد لننذر بالقرآن
وتحذّر به قوماً لم يأتهم رسول ينذرهم من قبلك لعلهم يعرفون
الحق ويؤمنون به ويتبعونه

الله هو الذي أوجد السموات السبع والأرضين وما بينهما من
الخلق في ستة أيام، ثم علا وارتفع على عرشه كما يليق بجلاله
سبحانه، ليس لكم ممن سوى الله ولي يتولّى أمركم، ولا شفيع
يشفع لكم عند ربكم، أفلا تتذكرون ما تعلمونه من أنه الخالق
وحده، الذي استوى على عرشه، ومن أنه لا حجة لشيء ممّا
أشركتموه به؟! فهو الذي انفرد بتدبيركم وتوليكم، وله الشفاعة
كلّها، وهو المستحق للعبادة وحده

يدير الله أمر خلقه بما يشاء، فينزل تقديره وقضاؤه من
السماء إلى الأرض، ثم يصعد إليه من الأرض إلى السماء في
يوم كان مقداره ألف سنة ممّا تحسبون من أيامكم في الدنيا
ذلك الإله العظيم الشان، العالي القدر، الذي فعل ما وُصف
في الآيات السابقة: هو العالم بكلّ ما غاب عن خلقه، وبكلّ ما
هو مُشاهد أو مُدرَك من خلقه، العظيم القدر، الممتنع عليه كلُّ

عَيْبٍ وَنَقْصٍ، الْغَالِبُ الْقَاهِرُ، الشَّدِيدُ الْمُنْتَقِمُ مِنْ أَعْدَائِهِ، الرَّحِيمُ
بِعِبَادِهِ

الَّذِي أَنْقَلَ خَلْقَ كُلِّ شَيْءٍ، وَأَحْكَمَهُ وَفَقَّ مَا يَلِيقُ بِهِ، وَيُنَاسِبُ
الْمَقْصُودَ مِنْ خَلْقِهِ، وَخَلَقَ آدَمَ أَبَا الْبَشَرِ مِنْ طِينٍ
ثُمَّ جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى ذُرِّيَّةَ آدَمَ مُسْتَخْلَصَةً مِنْ مَنِيِّ ضَعِيفِ رَفِيقٍ
ثُمَّ جَعَلَهُ اللَّهُ خَلْقًا مُسْتَوِيًّا مُسْتَقِيمًا مُعْتَدِلًا، وَجَعَلَ فِيهِ الرُّوحَ؛
فَصَارَ حَيًّا، وَأَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ - بِالسَّمْعِ؛ لِتَسْمَعُوا
الْأَصْوَاتَ، وَبِالْأَبْصَارِ لِتُبْصِرُوا الْمَرْئِيَّاتِ، وَبِالْأَفْئِدَةِ لِتُذَكِّرُوا
بِهَا الْمَعْقُولَاتِ، ثُمَّ أَنْتُمْ - مَعَ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْكُمْ - قَلِيلًا مَا
تَشْكُرُونَ !

وَقَالَ الْمُشْرِكُونَ اسْتَبْعَادًا لِلْبَعْثِ: إِذَا ذَهَبْتَ فِي الْأَرْضِ
أَجْسَادُنَا، وَتَفَرَّقَتْ فِيهَا لِحُومُنَا وَعِظَامُنَا، وَغَابَتْ فِي التُّرَابِ
وَصَارَتْ مِثْلَهُ: أَنْعُودُ أَحْيَاءٍ مِنْ بَعْدِ تِلْكَ الْحَالِ؟! لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا
ذَكَرُوا؛ فَهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ لَا يَجْحَدُونَ قُدْرَةَ اللَّهِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ،
وَلَكِنَّهُمْ يَجْحَدُونَ لِقَاءَ رَبِّهِمْ لِلْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ !

قُلْ - يَا مُحَمَّدُ - لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ: يَقْبِضُ أَرْوَاحَكُمْ مَلَكَ
الْمَوْتِ الَّذِي وَكَّلَهُ اللَّهُ بِقَبْضِهَا عِنْدَ حُضُورِ أَجَالِكُمْ، ثُمَّ أَنْتُمْ بَعْدَ
مَوْتِكُمْ تُرَدُّونَ أَحْيَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى رَبِّكُمْ، فَيُجَازِيكُمْ عَلَى
أَعْمَالِكُمْ

وَلَوْ تَرَى - يَا مُحَمَّدُ - حِينَ يُطَاطَى الْمُجْرِمُونَ رُؤُوسَهُمْ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى؛ بِسَبَبِ تَكْذِيبِهِمْ وَعِصْيَانِهِمْ يَقُولُونَ: يَا
رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا مَا كُنَّا نُنْكِرُهُ أَوْ نَسْتَكْفِرُ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ،
فَارْجِعْنَا إِلَى الدُّنْيَا؛ لِنَعْمَلَ فِيهَا عَمَلًا صَالِحًا، إِنَّا الْآنَ مُوقِنُونَ
بِالْحَقِّ !

ولو شِئْنَا لَهَدَيْنَا كُلَّ إِنْسَانٍ فِي الدُّنْيَا إِلَى الْحَقِّ، فَوَقَّفْنَا
لِلْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ؛ فَمَشِيئَةُ اللَّهِ تَعَالَى صَالِحَةٌ لَذَلِكَ، وَلَكِنْ
وَجَبَ الْقَوْلُ مِنِّي، وَتَبَتِ ثُبُوتًا لَا تَغْيِرُ فِيهِ: أَنْ أَمْلَأَ جَهَنَّمَ مِنْ
كُفَّارِ الْجَنِّ وَالنَّاسِ، فَأَعَذِّبَهُمْ فِيهَا جَمِيعًا

فَذُوقُوا الْعَذَابَ - أَيُّهَا الْكَافِرُونَ - بِسَبَبِ نِسْيَانِكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
وَتَكْذِيبِكُمْ بِهِ، وَتَرْكِكُمْ الْعَمَلَ اسْتِعْدَادًا لِلِقَاءِ اللَّهِ تَعَالَى فِيهِ، إِنَّا
نَتْرُكُكُمْ فِي الْعَذَابِ، وَذُوقُوا عَذَابًا تُخَلَّدُونَ فِيهِ إِلَى الْأَبَدِ؛ بِسَبَبِ
مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَهُ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْكُفْرِ وَالتَّكْذِيبِ وَالْعِصْيَانِ

إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِ اللَّهِ الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا هَوُوا إِلَى الْأَرْضِ
سَاقِطِينَ عَلَى وُجُوهِهِمْ سُجَّدًا؛ تَعْظِيمًا وَخُضُوعًا لِرَبِّهِمْ،
وَإِقْرَارًا بِعُبُودِيَّتِهِ سُبْحَانَهُ، وَنَزْهًا اللَّهُ تَعَالَى فِي سُجُودِهِمْ عَنْ
جَمِيعِ النَّقَائِصِ وَالْعُيُوبِ، تَنْزِيهًا مُتَلَبِّسًا بِحَمْدِهِ، وَإِثْبَاتِ صِفَاتِ
كَمَالِهِ، وَالْحَالُ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ

تَرْتَفِعُ وَتَتَبَاعَدُ جُنُوبُ هَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنِينَ مُتَنَحِّيَةً عَنْ فُرُشِهِمْ،
فَيَهْجُرُونَ النَّوْمَ لِمُنَاجَاةِ اللَّهِ تَعَالَى فِي اللَّيْلِ؛ خَوْفًا مِنْ غَضَبِهِ
وَسَخَطِهِ وَعَذَابِهِ، وَطَمَعًا فِي رِضَاؤِهِ وَرَحْمَتِهِ وَمَغْفِرَتِهِ وَثَوَابِهِ،
وَمِمَّا رَزَقَهُمْ رَبُّهُمْ يُنْفِقُونَ فِي وَجْهِ الْبِرِّ

فَلَا يَعْلَمُ أَيُّ أَحَدٍ مَا أَخْفَى اللَّهُ لِأَوْلَئِكَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ النَّعِيمِ
الْعَظِيمِ فِي الْجَنَّةِ، مِمَّا تَقَرَّرَ بِهِ أَعْيُنُهُمْ؛ ثَوَابًا لَهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ
الصَّالِحَةِ الَّتِي كَانُوا يَعْمَلُونَهَا فِي الدُّنْيَا

أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا بِآيَاتِ اللَّهِ مُتَّبِعًا لِرُسُلِهِ، فَهُوَ مُؤْمِنٌ بِوَعْدِهِ
وَوَعِيدِهِ، طَائِعٌ لَهُ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ: أَيْكُونُ فِي حُكْمِ اللَّهِ كَمَنْ كَانَ
كَافِرًا مُكَذِّبًا، خَارِجًا عَنْ دَائِرَةِ الْإِيمَانِ وَطَاعَةِ الرَّحْمَنِ؟! لَا

يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ فَلَ كُلِّ جَزَاءٍ مُخْتَلِفٌ بِحَسَبِ مَا قَدَّمُوهُ

أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِمَا وَجَبَ عَلَيْهِمُ الْإِيمَانُ بِهِ، وَعَمِلُوا الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ بِإِخْلَاصٍ لِلَّهِ تَعَالَى وَمُتَابَعَةٍ لِشَرِّعِهِ: فَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ جَنَّاتٌ يَأْوُونَ إِلَيْهَا، فَهُمْ فِيهَا مُقِيمُونَ، وَمِنْهَا لَا يَخْرُجُونَ، ضِيفَافَةً كَرِيمَةً مُهَيَّأَةً لَهُمْ؛ بِسَبَبِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ فِي الدُّنْيَا وَأَمَّا الَّذِينَ خَرَجُوا عَنِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَطَاعَتِهِ، فَكَفَرُوا بِهِ وَعَصَوْهُ؛ فَمَسَكْنُهُمْ وَمَقَرُّهُمْ الَّذِي يَأْوُونَ إِلَيْهِ، وَيُقِيمُونَ فِي الْآخِرَةِ فِيهِ: هُوَ النَّارُ، كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ أُعِيدُوا فِيهَا مُكَرَّهِينَ، وَيُقَالُ لَهُمْ: ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ فِي الدُّنْيَا تُكَذِّبُونَ بِوُقُوعِهِ

وَأُنْصِيْبِينَ هَؤُلَاءِ الْفَاسِقِينَ الْمَكْذِبِينَ مِنَ الْعَذَابِ الَّذِي يَكُونُ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ فِي الْآخِرَةِ لَعَلَّهُمْ يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ مِنْ كُفْرِهِمْ وَعِصْيَانِهِمْ

وَلَا أَحَدٌ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَكَرَ بآيَاتِ رَبِّهِ، ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا مُسْتَكْبِرًا عَنْ قَبُولِهَا، وَالْانْقِيَادِ إِلَيْهَا، إِنَّا سَنَنْتَقِمُ مِنَ الَّذِينَ أَعْرَضُوا، وَكَفَرُوا، وَكَذَّبُوا، وَاكْتَسَبُوا السَّيِّئَاتِ

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى التَّوْرَةَ، فَلَا تَكُنْ - يَا مُحَمَّدٌ - فِي شَكٍّ وَتَرَدُّدٍ مِنْ لِقَائِهِ، وَجَعَلْنَا كِتَابَ مُوسَى مُرْشِدًا وَذَلِيلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى الْحَقِّ

وَجَعَلْنَا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَادَةً فِي الْخَيْرِ، يَذُلُّونَ النَّاسَ، وَيُرْشِدُونَهُمْ إِلَى الْحَقِّ بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى حِينَ صَبَرُوا عَلَى طَاعَتِنَا، وَصَبَرُوا عَنِ الْمَعَاصِي وَشَهَوَاتِ الدُّنْيَا، وَتَحَمَّلُوا مَصَائِبَهَا، وَكَانُوا يُوقِنُونَ بآيَاتِ اللَّهِ بِعِلْمٍ ثَابِتٍ مُسْتَقَرٍّ

إِنَّ رَبَّكَ -يا مُحَمَّدٌ- هُوَ وَحْدَهُ مَنْ يَحْكُمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَيْنَ جَمِيعِ خَلْقِهِ -ومنهم بنو إسرائيل- فيما كانوا في الدُّنْيَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ مِنْ شَأْنِ الدِّينِ، فَيَجْزِي كُلَّ مُحِقٍّ وَمُبْطِلٍ بِمَا يَسْتَحِقُّهُ
أَوَلَمْ يَتَّبِعِ لِلْمُشْرِكِينَ إِهْلَاكُنَا كَثِيرًا مِنَ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ قَبْلَهُمْ، كَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمَ لُوطٍ، وَهُمْ يَمْشُونَ فِي مَنَازِلِهِمْ فَلَا يَرَوْنَ فِيهَا أَحَدًا مِنْهُمْ؟! إِنَّ فِيهَا حَلًّا بِأَوْلَئِكَ بِسَبَبِ ظُلْمِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ: لَدَلَالَاتٍ وَعِبَرًا وَعِظَاتٍ لِمُشْرِكِي قُرَيْشٍ وَغَيْرِهِمْ، أَفَلَا يَسْمَعُونَ آيَاتِ اللَّهِ وَأَخْبَارَ الْمَاضِينَ سَمَاعَ تَذَبُّرٍ وَاتِّعَاضٍ؛ فَيَتُوبُوا وَيَتْرَكُوا الشِّرْكَ؛ كَيْلًا يُصِيبَهُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ مَنْ قَبْلَهُمْ مِنَ الْهَلَاكِ؟!
أَوَلَمْ يَرَ الْمُشْرِكُونَ الْمَكْذِبُونَ بِالْبَعْثِ أَنَا نَسُوقُ بِقُدْرَتِنَا الْمَاءَ

-كَمَاءِ الْمَطَرِ وَالسَّيْلِ- إِلَى الْأَرْضِ الْيَابِسَةِ الَّتِي لَا نَبَاتَ فِيهَا؟! فَنُخْرِجُ بِذَلِكَ الْمَاءِ زَرْعًا نَأْكُلُ مِنْهُ مَوَاشِيَهُمْ، وَتَتَعَدَّى بِهِ أَبْدَانَهُمْ، أَفَلَا يَرَوْنَ كَيْفَ أَحْيَا اللَّهُ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا؛ فَيَعْلَمُوا بِذَلِكَ قُدْرَةَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى إِحْيَاءِ النَّاسِ بَعْدَ مَوْتِهِمْ؟!
وَيَقُولُ أَوْلَئِكَ الْمُشْرِكُونَ: مَتَى يَجِيءُ هَذَا الْحُكْمُ الَّذِي يَفْصِلُ

اللَّهُ بِهِ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ، فَيُعَذِّبُنَا وَيَنْصُرُكُمْ عَلَيْنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ -
أَيُّهَا الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ- فِي أَنَّنَا مُعَاقِبُونَ عَلَى شِرْكِنَا وَتَكْذِيبِنَا؟!
قُلْ -يا مُحَمَّدٌ-: يَوْمَ الْحُكْمِ وَمَجِيءِ الْعَذَابِ الَّذِي تَسْأَلُونَ عَنْهُ لَا تَسْتَفِيدُونَ شَيْئًا؛ فَإِنَّهُ إِذَا جَاءَ انْقَضَى الْأَمْرُ، وَحِينَهَا لَا يَنْفَعُ الْكَفَّارَ إِيْمَانُهُمْ! وَلَا يُمْهَلُونَ فَيُؤَخَّرَ عَنْهُمْ الْعَذَابُ؛ لِيَتُوبُوا

فَأَعْرِضْ -يا مُحَمَّدٌ- عَنْ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ، وَانْتَظِرْ حَتَّى يُنْزِلَ اللَّهُ عَذَابَهُ بِالْكَافِرِينَ، وَيَنْصُرَكَ عَلَيْهِمْ؛ إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ هَلَاكَكَ لِيَسْتَرِيحُوا مِنْكَ

يا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ بِامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ، واجْتَنَابِ نَوَاهِيهِ، وَدُمْ عَلَى تَقْوَاهُ، وَلَا تُطِغْ - أَيُّهَا النَّبِيُّ - الْكَافِرِينَ الْمُظْهِرِينَ لِلْكَفْرِ، وَالْمُنَافِقِينَ الْمُبْطِنِينَ لَهُ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ وَلَمْ يَزَلْ عَلِيمًا بِعَوَاقِبِ الْأُمُورِ، وَبِمَا تُضْمِرُهُ نَفُوسُ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ، حَكِيمًا فِي تَدْبِيرِ جَمِيعِ أُمُورِ خَلْقِهِ، وَفِيمَا شَرَعَ لَهُمْ مِنْ دِينِهِ.

وَاعْمَلْ - يَا مُحَمَّدٌ - بِمَا أَوْحَاهُ إِلَيْكَ رَبُّكَ، وَشَرَعَ لَكَ مِنْ دِينِهِ، وَاسْتَمِرَّ عَلَى ذَلِكَ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ وَلَمْ يَزَلْ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِكُمْ، وَسَيُجَازِيكُمْ عَلَيْهَا.

وَاعْتَمِدْ - يَا مُحَمَّدٌ - فِي أُمُورِكَ كُلِّهَا عَلَى اللَّهِ وَحْدَهُ، وَثِقْ بِهِ سُبْحَانَهُ. وَحَسْبُكَ اللَّهُ تَعَالَى وَحْدَهُ؛ فَهُوَ الْحَافِظُ لِكُلِّ شَيْءٍ، الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَالْمُدَبِّرُ لَجَمِيعِ الْخَلْقِ؛ فَلَا تَلْتَفِتْ فِي شَيْءٍ مِنْ أَمْرِكَ إِلَى غَيْرِهِ سُبْحَانَهُ.

مَا خَلَقَ اللَّهُ لَأَيِّ رَجُلٍ قَلْبَيْنِ فِي صَدْرِهِ؛ فَيَعْقِلَ بِهِمَا، وَمَا جَعَلَ اللَّهُ زَوْجَاتِكُمْ - أَيُّهَا الرِّجَالُ - اللَّاتِي يَقُولُونَ لَهُنَّ: أَنْتُنَّ عَلَيْنَا كَظُهُورِ أُمَّهَاتِنَا، فَتَحَرِّمُوهُنَّ بِذَلِكَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ، مَا جَعَلَهُنَّ أُمَّهَاتٍ لَكُمْ فِي الْحَقِيقَةِ! وَمَا جَعَلَ اللَّهُ مَنْ تَتَّبِعُونَهُمْ أَبْنَاءَ لَكُمْ فِي الْحَقِيقَةِ؛ فَهُمْ أَبْنَاءُ غَيْرِكُمْ وَإِنْ ادَّعَيْتُمْ نِسْبَتَهُمْ إِلَيْكُمْ، ذَلِكَ قَوْلٌ بَاطِلٌ يَقُولُونَهُ فَحَسْبُ، وَلَا حَقِيقَةَ لَهُ فِي الْوُجُودِ، وَاللَّهُ يَقُولُ الصِّدْقَ وَالْعَدْلَ وَالْقَوْلَ الثَّابِتَ الَّذِي يُوَافِقُ ظَاهِرُهُ بَاطِنَهُ، وَلَا يَقُولُ اللَّهُ الْكَذِبَ وَالْبَاطِلَ؛ فَصَدِّقُوا قَوْلَهُ، وَاتَّبِعُوا شَرْعَهُ، وَاللَّهُ يُبَيِّنُ لِعِبَادِهِ طَرِيقَ الْحَقِّ، وَيَدُلُّهُمْ عَلَيْهِ.

انْسُبُوا الْأَدْعِيَاءَ الْمُتَبَيِّنِينَ لِأَبَائِهِمُ الَّذِينَ وَلَدُوهُمْ، هَذَا أَعْدَلُ عِنْدَ اللَّهِ، وَأَصْدَقُ وَأَصَوَّبُ قَوْلًا وَحُكْمًا مِنْ نِسْبَتِكُمْ لَهُمْ إِلَى الَّذِينَ تَبَنُّوهُمْ، فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا - أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ - أَبَاءَ الْأَدْعِيَاءِ لِنُسْبُوهُمْ

إليهم، فهم إخوانكم في الإسلام إن كانوا مُسْلِمِينَ، ومحرّروكم من الرق؛ فقولوا عَوْضًا عَمَّا فَاتَتْهُمْ مِنَ النَّسَبِ: أَخِي وَمَوْلَايَ، وَلَا تَقُولُوا: ابْنُ فُلَانٍ، وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ إِثْمٌ فِي شَيْءٍ أَخْطَأْتُمْ فِيهِ بَلَا قَصْدٍ مِنْكُمْ لِلخَطَا، كَأَن تَنْسُبُوا إِنْسَانًا لغير أبيه؛ جهلاً، أو على سَبِيلِ النِّسْيَانِ، أو سَبْقِ اللِّسَانِ، وَلَكِنْ يُوَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِمَا تَتَعَمَّدُونَهُ بِقُلُوبِكُمْ، وَاللَّهُ هُوَ الْمُتَّصِفُ بِالْمَغْفِرَةِ؛ فَيَسْتُرْ ذُنُوبَ عِبَادِهِ، وَيَتَجَاوَزُ عَنْ مُوَآخَذَتِهِمْ بِهَا، وَهُوَ الْمُتَّصِفُ بِالرَّحْمَةِ؛ وَمِنْ رَحْمَتِهِ بَعَادَهُ أَنْ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَحْكَامَ دِينِهِ، وَشَرَعَ لَهُمْ مَا يُصْلِحُهُمْ، وَمِنْ ذَلِكَ رَفَعُ الْمَوَآخَذَةِ عَنْ فِعْلِ الْخَطَا.

النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ أَحَقُّ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ؛ فَيَجِبُ عَلَيْهِمْ تَقْدِيمُ طَاعَتِهِ، وَقَبُولُ حُكْمِهِ، وَاتِّبَاعُ هَدْيِهِ، وَتَقْدِيمُ مَحَبَّتِهِ عَلَى مَحَبَّةِ أَنْفُسِهِمْ، وَأَزْوَاجُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُنَّ أُمَّهَاتُ الْمُؤْمِنِينَ فِي حُرْمَةِ نِكَاحِهِنَّ، وَوُجُوبِ تَعْظِيمِهِنَّ وَإِكْرَامِهِنَّ، وَذَوُ الْقَرَابَاتِ أُولَى بِالنَّوَارِثِ فِيمَا بَيْنَهُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ كَانُوا فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ يَتَوَارَثُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ؛ بِسَبَبِ حَقِّ الْأُخُوَّةِ الْإِيمَانِيَّةِ وَالْهَجْرَةِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ رَحِمٌ، لَكِنْ لَكُمْ -أَيُّهَا الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ- أَنْ تُحْسِنُوا إِلَى أَوْلِيَاكُمْ مِمَّنْ سِوَى أَقَارِبِكُمْ، بِالْوَصِيَّةِ وَالنُّصْرَةِ وَالصِّلَةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَعْرُوفِ، قَلِيلًا كَانَ أَوْ كَثِيرًا، إِنَّ تَوَارَثَ أُولَى الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ: مَكْتُوبٌ فِي اللُّوحِ الْمَحْفُوظِ.

وَادْكُرْ -يَا مُحَمَّدُ- إِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ عَهْدًا مُؤَكَّدًا عَلَى تَصَدِيقِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا، وَتَبْلِيغِ الدِّينِ وَإِقَامَتِهِ، وَاتِّبَاعِ مَا أَوْحَى اللَّهُ بِهِ، وَأَخَذْنَا هَذَا الْمِيثَاقَ مِنْكَ -يَا مُحَمَّدُ- وَمِنْ نُوحٍ، وَإِبْرَاهِيمَ، وَمُوسَى، وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ -عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَأَخَذْنَا مِنْ

جميع هؤلاء الأنبياء عهدًا عظيمًا مؤكدًا على القيام بما حُمِّلوا،
والوفاء بما أخذ الله عليهم.

أخذ الله الميثاق من أولئك الأنبياء؛ لكي يسأل الصادقين عن
قيامهم بهذا العهد المؤكد، فيثيبهم الجنة، وأعد الله للكافرين بالله
ورُسُلِهِ من جميع الأمم عذابًا مؤلمًا موجعًا في النار.

يا أيُّها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم في صرفه الكفار
عنكم حين حاصروكم، حين جاءكم جنود الكفار، فأرسلنا
عليهم ريحًا شديدة الهبوب، وأرسلنا عليهم جنودًا من الملائكة
لم تروها، وكان الله بما تعملون -أيُّها المؤمنون- بصيرًا، لا
يخفي عليه شيء، وسيُجازيكم عليها.

إذ جاءكم جنود الأحزاب -أيُّها المؤمنون- من فوقكم من
جهة المشرق، وجاؤوكم من أسفل منكم من جهة المغرب، وإذا
مالت أبصار المسلمين عن مقرها؛ من شدة الخوف والفرع،
وزالت القلوب عن أماكنها في الصدور؛ من شدة الخوف
والرعب، فبلغت الحناجر، وتظنون بالله ظننًا شتى.

فعدت تلك الشدة العظيمة اختبر الله إيمان القوم ومحصهم؛
ليتميز المؤمن من المنافق، وحركوا وأزعجوا إزعاجًا شديدًا.
واذكر إذ يقول المنافقون وضعا في الإيمان الذين في قلوبهم
شك وشبهة: ما وعدنا الله ورسوله من النصر والتكثير إلا
وعودًا كاذبة باطلة لا وفاء لها!

وإذا قالت طائفة من المنافقين: يا أهل يثرب لا إقامة لكم هنا
للرباط والقتال؛ فارجعوا إلى بيوتكم هاربين، واتركوا الرسول
وأصحابه، ويطلب فريق من المنافقين الإذن من النبي صلى الله
عليه وسلم بالانصراف إلى منازلهم، يقولون معتذرين: إن

بُيُوتُنَا لَيْسَتْ بِحَصِينَةٍ، فَخَشَى أَنْ يَهْجُمَ عَلَيْهَا الْعَدُوُّ، فَتُرِيدُ
الْإِنْصِرَافَ لِجِرَاسَتِهَا، وَلَيْسَتْ بُيُوتُهُمْ مَكْشُوفَةً لِلْعَدُوِّ كَمَا
يَدَّعُونَ، وَلَكِنَّهُمْ يُرِيدُونَ بِهَذَا الْفِرَارَ مِنَ الْجِهَادِ.

وَلَوْ دَخَلَ الْكُفَّارُ الْمُتَحَرِّبُونَ الْمَدِينَةَ مِنْ نَوَاحِيهَا عَلَى هَؤُلَاءِ
الَّذِينَ يَقُولُونَ: إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ، ثُمَّ سَأَلُوهُمْ الرُّجُوعَ مِنَ الْإِيمَانِ
إِلَى الْكُفْرِ، لَفَعَلُوا مَا طُلِبَ مِنْهُمْ! وَلَاسِرْعَ الْمُنَافِقُونَ إِلَى
إِعْطَائِهِمْ مَا سَأَلُوهُمْ مِنَ الرَّدَةِ، وَلَمْ يَتَرَدَّدُوا عَنْ إِجَابَتِهِمْ إِلَّا زَمَنًا
قَلِيلًا!

وَلَقَدْ كَانَ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ الْمُنْصَرِفُونَ عَنِ الْجِهَادِ مَعَ
رَسُولِ اللَّهِ، الْقَائِلُونَ: {إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ} عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلِ هَذِهِ
الْعَزْوَةِ وَحَالَةِ الْخَوْفِ الَّتِي أَصَابَتْهُمْ: أَلَّا يَقْرَءُوا، فَأَخْلَفُوا اللَّهَ مَا
وَعَدُوهُ، وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا عَنْهُ؛ فَسَيَسْأَلُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ،
وَيُحَاسِبُهُمْ عَنِ الْعَهْدِ الَّذِي نَقَضُوهُ.

قُلْ -يَا مُحَمَّدٌ- لَأُولَئِكَ الْمُنَافِقِينَ: لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْهَرَبُ -الَّذِي مَا
كَانَ اسْتِنْدَانَكُمْ إِلَّا بِسَبَبِهِ- إِنْ هَرَبْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ؛ فَهُوَ لَا
يُؤَخِّرُ أَجَالَكُمْ، فَلَا بُدَّ مِنْ وَقُوعِ مَا كَتَبَهُ اللَّهُ، وَإِذَا فَرَرْتُمْ مِنَ
الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ فَلَنْ يَزِيدَ ذَلِكَ فِي أَعْمَارِكُمْ شَيْئًا، وَإِنَّمَا سُمِّمْتُمْ
فِي الدُّنْيَا قَلِيلًا إِلَى الْوَقْتِ الَّذِي تَنْقَضِي فِيهِ أَعْمَارُكُمْ الْمَكْتُوبَةُ
عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى.

قُلْ -يَا مُحَمَّدٌ- لِهَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ: مَنْ الَّذِي يَمْنَعُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ
أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا فِي أَنْفُسِكُمْ، كَقَتْلِ أَوْ بَلَاءٍ؛ أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً،
كَعَافِيَةٍ وَسَلَامَةٍ وَنَصْرٍ؟ فَاللَّهُ تَعَالَى وَحْدَهُ هُوَ الْمَعْطِي الْمَانِعُ،
الَّذِي لَا يَأْتِي بِالْخَيْرِ إِلَّا هُوَ، وَلَا يَدْفَعُ الشَّرَّ إِلَّا هُوَ؛ فَلَا الْفِرَارُ
مَانِعٌ مِنَ السُّوءِ إِنْ أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى وَقُوعَهُ بِكُمْ، وَلَا الْبَقَاءُ جَالِبٌ

لِلرَّحْمَةِ، وَلَا يَجِدُ أَوْلَئِكَ الْمُنَافِقُونَ وَلِيًّا يَتَوَلَّى أُمُورَهُمْ وَيَنْفَعُهُمْ، وَلَا يَجِدُونَ نَصِيرًا يَدْفَعُ عَنْهُمْ عَذَابَ اللَّهِ حِينَ يَنْزِلُ بِهِمْ. قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُتَّبِعِينَ مِنْكُمْ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَنِ الْخُرُوجِ مَعَهُ لِلْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَيَعْلَمُ الْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ: أَقْبِلُوا إِلَيْنَا، وَتَعَالَوْا إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ مِنَ الرَّاحَةِ وَالنَّعِيمِ، وَدَعُوا مُحَمَّدًا، وَاتْرُكُوا الْجِهَادَ مَعَهُ؛ فَإِنَّا نَخَافُ عَلَيْكُمُ الْهَلَكَ، وَلَا يَشْهَدُونَ الْحَرْبَ أَوْ مَكَانَهَا إِلَّا زَمَنًا قَلِيلًا؛ رِيَاءً وَسُمْعَةً.

أَشْحَةً عَلَى الْمُؤْمِنِينَ بِكُلِّ مَا فِيهِ مَنَفَعَةٌ لَهُمْ، حَرِيصِينَ عَلَى مَنَعِ كُلِّ خَيْرٍ مِنَ الْوُصُولِ إِلَيْهِمْ، فَإِذَا جَاءَ الْقِتَالُ فَحَضَرَ الْخَوْفُ، رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ -يَا مُحَمَّدٌ- يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَأَعْيُنُهُمْ تَدُورُ سَرِيعًا مُحْمِلَةً فِي الْجِهَاتِ الْمَحِيطَةِ؛ مِنْ شِدَّةِ جُبْنِهِمْ وَخَوْفِهِمْ مِنَ الْقِتَالِ، كَدُورَانِ عَيْنٍ مَنْ يُغْمَى عَلَيْهِ بِسَبَبِ النَّزْعِ عِنْدَ مَوْتِهِ! فَإِذَا انْقَطَعَتِ الْحَرْبُ فَذَهَبَ الْخَوْفُ، وَاطْمَأَنَّ الْمُنَافِقُونَ وَأَمْنُوا؛ تَكَلَّمُوا بِكَلَامٍ شَدِيدٍ قَوِيٍّ، بُخْلَاءَ بِكُلِّ مَا فِيهِ لِلْمُؤْمِنِينَ مَنَفَعَةٌ، فَلَيْسَ فِيهِمْ خَيْرٌ، أَوْلَئِكَ الْمُنَافِقُونَ لَمْ يُؤْمِنُوا بِقُلُوبِهِمْ وَإِنْ أَقْرَبَتْ أَلْسِنَتُهُمْ، وَلَمْ يُخْلِصُوا فِي أَعْمَالِهِمْ فَلَا يُثَبِّتُهُمُ اللَّهُ عَلَيْهَا فِي الْآخِرَةِ، وَكَانَ إِحْبَاطُ اللَّهِ لِأَعْمَالِ الْمُنَافِقِينَ سَهْلًا عَلَيْهِ، وَلَا يَعْبَأُ بِهِمْ.

يَظُنُّ الْمُنَافِقُونَ -بِسَبَبِ جُبْنِهِمْ وَشِدَّةِ خَوْفِهِمْ- أَنَّ الْكُفَّارَ الْمُتَحَرِّبِينَ مَا زَالُوا حَوْلَ الْمَدِينَةِ لَمْ يَنْصَرَفُوا عَنْهَا، وَإِنْ يَرْجِعَ الْكُفَّارُ مَرَّةً أُخْرَى لِلْقِتَالِ أَوْ حِصَارِ الْمَدِينَةِ يَتَمَنَّ الْمُنَافِقُونَ -مِنْ شِدَّةِ جُبْنِهِمْ وَخَوْفِهِمْ- أَنَّهُمْ غَائِبُونَ فِي الْبَادِيَةِ مَعَ الْبَدْوِ يَسْأَلُونَ النَّاسَ عَنْ أَخْبَارِكُمْ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، وَلَوْ كَانَ الْمُنَافِقُونَ

حاضرين معكم حين يأتي الكفار مرةً أخرى، فلن يُقاتلوهم إلا قتالاً قليلاً؛ رياءً وسُمةً.

لقد كان لكم -أيها المؤمنون- فُدوةٌ حسنةٌ في رسول الله وجهاده، وبذله نفسه لنصرة دين الله، وصبره ومصابرته ومُرابطته في غزوة الخندق؛ فتأسوا به في ذلك وغيره، وهو فُدوةٌ حسنةٌ لمن كان يرجو الله ولقاءه، وثوابه ورحمته، ويرجو يوم القيامة والجزاء فيه، وذكر الله ذكرًا كثيرًا.

ولما رأى المؤمنون جنود الكفار الذين تحربوا وتألَّبوا عليهم في غزوة الخندق؛ قالوا: هذا ما وعدنا الله ورسوله من الابتلاء وما يعثبه من النصر وحسن الجزاء، وصدق الله ورسوله في وعدنا بذلك، ولم يزد الصحابة ما رأوا من اجتماع الكفار عليهم وما أصابهم من البلاء في غزوة الخندق إلا إيمانًا بالله ورسوله، وتصدقًا بوعد الله بالنصر، وانقيادًا لقضائه، وطاعةً لأمره وأمر رسوله.

من المؤمنين بالله ورسوله رجالٌ صادقون وفؤا بعهدهم مع الله، فبدلوا نفوسهم في مرضاته، فمنهم من بذل جهده حتى فرغ من العمل الذي عاهد الله عليه، فقاتل حتى قُتل، أو عاش على الاستقامة والطاعة، والجهاد والثبات عند لقاء العدو حتى مات، ومنهم من ينتظر قضاء عهده وإتمامه، كما وفى من مضى منهم بعهده لله، ولم يُغيّر المؤمنون الصادقون عهدهم ونذرهم كما فعل المنافقون، ولا استبدلوا به غيره، بل وفؤا به وأتموه.

يبتلي الله عباده بالخوف والشدائد، ويأمر المؤمنين بجهاد الكافرين؛ ليثيب المؤمنين الصادقين؛ بسبب صدقهم فيما عاهدوا الله عليه، وقيامهم بالوفاء به، وليعذب الله المنافقين الذين

نَقَضُوا عَهْدَهُمْ وَلَمْ يَتَّبِعُوا عَلَى دِينِهِمْ - إِذَا لَمْ يَشَأْ هِدَايَتَهُمْ فِي الدُّنْيَا -؛ أَوْ يُوقِّعَهُمُ لِلتَّوْبَةِ إِنْ شَاءَ فَلَا يُعَذِّبُهُمْ، إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمُتَّصِفُ أَرْلًا وَأَبْدًا بِالْمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ.

وَرَدَّ اللَّهُ جُنُودَ الْأَحْزَابِ إِلَى بِلَادِهِمْ بَغْيَظِهِمْ خَائِبِينَ، لَمْ يَنَالُوا أَيَّ خَيْرٍ كَانَ فِي جِسْبَانِهِمْ؛ كَالنَّصْرِ، أَوِ الْغَنِيمَةِ، بَلْ رَجَعُوا خَاسِرِينَ! وَأَرَاخَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ قِتَالِ الْكُفَّارِ يَوْمَئِذٍ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الْمُتَّصِفُ أَرْلًا وَأَبْدًا بِالْقُوَّةِ عَلَى فِعْلِ مَا يَشَاءُ؛ فَيَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وَيَخْذُلُ مَنْ يَشَاءُ مِنْهُمْ، وَهُوَ الْمُتَّصِفُ بِالْعِزَّةِ؛ فَقَدَرَهُ عَظِيمٌ، يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ كُلُّ عَيْبٍ وَنَقْصٍ، وَهُوَ يَغْلِبُ وَلَا يُغْلَبُ، وَلَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ أَرَادَهُ.

وَأَنْزَلَ اللَّهُ يَهُودَ بَنِي قُرَيْظَةَ الَّذِينَ نَاصَرُوا وَأَعَانُوا الْأَحْزَابَ عَلَى حَرْبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُسْلِمِينَ مَعَهُ؛ أَنْزَلَهُمْ مِنْ حُصُونِهِمُ الْعَالِيَةِ، وَأَلْقَى اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمُ الْخَوْفَ السَّدِيدَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ؛ فَلَمْ يَقْوُوا عَلَى قِتَالِهِمْ، وَاسْتَسْلَمُوا لَهُمْ، وَنَزَلُوا عَلَى حُكْمِهِمْ، تَقْتُلُونَ - أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ - جَمَاعَةً مِنْهُمْ، وَهُمْ الرِّجَالُ الْبَالِغُونَ، وَتَأْسِرُونَ جَمَاعَةً مِنْهُمْ، وَهُمْ النِّسَاءُ وَالذَّرِيَّةُ. وَمَلَكَكُمْ اللَّهُ - أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ - أَرْضَهُمْ وَمَسَاكِنَهُمْ وَجَمِيعَ أَمْوَالِهِمْ مِمَّا غَنِمْتُمُوهُ مِنْهُمْ، وَأَوْرَثَكُمْ اللَّهُ أَرْضًا أُخْرَى غَيْرَ أَرْضِ بَنِي قُرَيْظَةَ مَا وَطِئْتُمُوهَا حَتَّى الْآنَ، وَلِكِنِّكُمْ سَتَمَلِكُونَهَا، إِنَّ اللَّهَ مُتَّصِفٌ أَرْلًا وَأَبْدًا بِكَمَالِ الْقُدْرَةِ؛ فَلَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ، وَمِنْ ذَلِكَ قُدْرَتُهُ عَلَى تَوْرِيثِ الْمُؤْمِنِينَ أَرْضَ الْكَافِرِينَ، وَنَصْرِهِمْ عَلَيْهِمْ.

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِرِزْوَاتِكَ: إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ النَّتْعَ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرِزْخَارِهَا، وَتَطْلُبُونَ نَفَقَةً لَا أُسْتَطِيعُهَا، فَأَقْبِلْنَ أُعْطِكُنَّ مَا أَوْجَبَهُ

اللَّهُ عَلَى الرَّجَالِ إِذَا طَلَّقُوا نِسَاءَهُمْ، وَأُطْلِقَتْ طَلَقًا جَمِيلًا كَمَا
أَذِنَ اللَّهُ وَأَمَرَ، بَلَا غَضَبٍ وَلَا سَبٍّ وَشَتَمٍ، وَلَا مَنَعَ حَقٍّ.
وَإِنْ كُنْتُمْ تُرْذِنَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ وَنَعِيمَ الْآخِرَةِ، بِحَيْثُ تَطِيبُ
أَنْفُسُكُمْ بِمَا يُعْطِيكُمْ الرَّسُولُ مِنْ نَفَقَةٍ، وَلَا تُطَالِبُنَّ بزيادةٍ، فَإِنَّ
اللَّهَ هَيَّأَ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُمْ ثَوَابًا عَظِيمًا، تُحْتَقَرُ لَهُ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا.
يَا أَزْوَاجَ النَّبِيِّ مَنْ تَأْتِ مِنْكُمْ بِفَاحِشَةٍ ظَاهِرَةٍ، يُضَاعَفْ لَهَا
الْعَذَابُ مِثْلِي عَذَابٍ مَنْ وَقَعَ فِي تِلْكَ الْفَاحِشَةِ، وَإِنَّ مُضَاعَفَةَ اللَّهِ
لِعَذَابٍ مَنْ تَفْعَلْ ذَلِكَ هَيْنٌ عَلَيْهِ، فَلَا يَتَعَاضَمُ وَلَا يَصْعَبُ عَلَيْهِ.

ar10121v1.0 - 06/09/2026